مكانة أبي حنيفة في الفقه والحديث

تأليف

محمد حفظ الرحمن الكُمِلّائي

رئيس دار الإفتاء

الجامعة الرحمانية العربية، داكا.

شيخ الحديث

دار العلوم، مسجد الأكبر، داكا.

الناشر

مكتبة شيخ الإسلام، داكا.

٠١٧١٦-٣٢٩٨٩٨

مكانة أبي حنيفة

في الفقه والحديث

تأليف

محمد حفظ الرحمن الكُمِلّائي

رئيس دار الإفتاء

الجامعة الرحمانية العربية، داكا.

شيخ الحديث

دار العلوم، مسجد الأكبر، داكا.

٠١٧١٦-٣٢٩٨٩٨

الطبعة الأولي

١٥ جمادي الأولي ١٤١٨هـ.

سيتمبر ١٩٩٧ م

الطبعة الثانية

٢ذو القعدة ١٤٢٨هـ.

نومبر ٢٠٠٧م

كمبيوتر كمبوز

المحب كمبيوتر

Price : 160.00 Tk

مكانة أبي حنيفة

في الفقه والحديث

تأليف

محمد حفظ الرحمن الكُمِلَّائي

رئيس دار الإفتاء

الجامعة الرحمانية العربية، داكا.

شيخ الحديث

دار العلوم، مسجد الأكبر، داكا.

٠١٧١٦-٣٢٩٨٩٨

الطبعة الأولي

١٥ جمادي الأولي ١٤١٨هـ.

سبتمبر ١٩٩٧م

الطبعة الثانية

٢ذو القعدة ١٤٢٨هـ.

نومبر ٢٠٠٧م

كمبيوتر كمبوز

المحب كمبيوتر

Price : 160.00

تقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الطول والنعماء، والصلوة والسلام على قائد الخير سيّدنا ومولانا محمد خاتَمِ الرُّسل والأنبياء، وعلى آله الأتقياء، وأصحابه البَرَرَة نجومِ الاهتداء، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان من الأئمة الفقهاء.

أما بعد فهذه الطبعة الثانية من كتابي «مكانة أبي حنيفة في الفقه والحديث »، أقدِّمه إلى القرّاء الكِرام، بعدَ أن نفدتْ طبعتُه الأولىٰ، وكثرَ الطلبُ مني لإعادة طبعه.

وقد أضفتُ في هذه الطبعة زياداتٍ كثيرةً مُمْتِعَةً مهمّةً، تزيد الكتابَ نفعاً وإفادةً، وذلك بإذن الله عزّ وجلّ وتوفيقه، فيطّلع القاريء الكريم في هذا الكتاب من هذه الطبعة فوائدَ حسنةً من العلم.

وقد ألحقتُ في آخر الكتاب ((رسالة الإمام أبي حنيفة الكوفي المتوفّى سنة ١٥٠هـ. إلى فقيه البصرىٰ الإمام عثمان بن مسلم البتّي، يسأله فيها عن

رأيه في مسألة الإمام يذكر له أنه بلغه أن أبا حنيفة مُرجِئ، فأوضحَ له الإمامُ أبو حنيفة رأيَه في المسألة ببيان علمي متين، من غير إيجاز ولا إطناب، وتبرّأ فيه عن الإرجاء، والله تعالى أسأل أن ينفعَ بها طلبةَ العلم وأهلَه، وأن يوفِّقنا للتأدّب بآداب سلفِنا الصالحين بمنّه وكرمه، فإنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وصلّى الله تعالى، وباركَ على سيّدنا ونبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه وعترته أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه

محمد حفظ الرحمن الكُمِلّائي

الجامعة الرحمانية العربية محمد بور داكا

١٠ رمضان المبارك ١٤٢٨هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانَك اللّٰهم لك الحمد، كما أنتَ أهله، وكما يليقُ بجلالِ وجهك وعظيمِ سلطانِك، صلِّ على صَفْوَةِ خَلقك، رسولِ الرحمة محمدٍ، وآله وأهل بيته وعِتْرَتِه، وصَحْبِه، صلوةً تُرضِيكَ، وتُرضيه عنّا، يا ربَّ العالمين!

وبعد فيقول العبد الضئيل: هذا ما تيسّرَ لي جمعُه وتأليفُه، وسَمَّيْتُه بـ«مكانة أبي حنيفة في الفقة والحديث»، انتخبتُه من كتب الأئمة المشهورين، والحفّاظِ المعتمَدين، واجتهدتُ على اختصارِه وتحريرِ بعضِ ألفاظِه، ووذكرتُ فيه سلسلةَ نسبِ إمام الأئمة سِرَاج الأمّة الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه اللّه تعالى، وميلادَه، ووفاتَه، ومَنْ لقيَ من الصحابة، وبعضَ مشايخِه من التابعين وغيرِهم، وتقدُّمَه على غيره من الأئمة العِظام، ومكانتَه في علم الحديث، ومكانتَه في علم الفقه، والأجوبةَ النادرةَ منه ومناظراتِه، وقد بَذلتُ جَهْدي في هذا، وتتبّعتُ، وتفحّصتُ فيه كتباً كثيرةً، فالحمدُ للّٰه تباركَ وتعالىٰ، وهو المسئول، وحَسْبُنا اللّٰه، ونعم الوكيل، وصلّى اللّٰه تعالىٰ وسلّم على خير خلقه محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد للّٰه ربّ العالمين.

سلسلة نسب الإمام الأعظم

الإمـام الأعـظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت[1] بن كاوس بن هُرْمُز

(١) اختلف في نسب الإمام على أقوال. فقيل: عربي، وقيل: عجمي، والصواب الثاني. ومن قال: إنه عربي، نسبه هكذا: نعمان بن ثابت بن زوطى بن يحيى بن زيد بن أسد بن راشد الأنصاري. وقال أحمد بن حجر المكّي: اختلفوا في نسبه، فقال أكثرهم، وصحّحه المحقّقون: إنه من العجم ابن ثابت بن زوطىٰ بالضم كموسى، أو بالفتح، كسَلْمى بن ماه من أهل قابل. هكذا نبّهَ عمرُ بن حمّاد ولد الإمام، وقال أخوه إسماعيل بن حمّاد: هو ابن ثابت بن النعمان بن المَرْزبان بفتح وسكون فضم زاء، وقد يُفتح، معرّب الرئيس، من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع لنا رقّ قط. اهـ.

وجمع بين القولين بأن زوطى اسم جاهلي، ونعمان اسم إسلامي، وكذا جمع بين مَاه ومَرْزبان بأن كليهما في معنى الرئيس ألقاب، وبسط في «الجواهر المضية» نسبه، وبلغ إلى آدم عليه الصلوة والسلام.

ولد ثابت والد الإمام بكوفة، وذهب به أبوه إلى علي كرّم الله تعالى وجهَه، فدعا له بالبركة فيه وفي ذرّيته.

ولد الإمام رضي الله عنه سنةَ ثمانين بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل: سنة إحدى وستين، كما في «الخيرات الحِسان».

فيه أيضاً اتفقوا على أن اسمه النعمان، وفيه سرّ لطيف، إذ أصل نعمان الدم الذي فيه قوام البدن، ومِنْ ثَمَّ ذهب بعضُهم إلى أنه روح، وأبو حنيفة=

بـن مَـرْزبـان بـن بَهْـرام بـن مهـركـز بن ماحين بن حسينك بن أذر بود بن سروس بن نردمان بن بَهْرام بن مهركز بن أردرباد بن أرزحود بن برد فيروز بـن سيـدوس بن رفتار بن إيتكرز بن كودبو بن كردبو بن سرواد بن وادين بـن سيـدوس بـن تـزد بن تحت بود بن شادان بن هرمز ديار بن خاتبسا بن دينار بن كيار بن ددين بن سيدوس بن كودود بن ساسان الملك بن بابك

= رحـمـه اللّٰه تـعـالـى بـه قـوام الـفـقه، أو نبتٌ أحمرُ طِيْب الريح، الشقيق، أو الأرجـوان، وأبـو حـنيفة طابت خِلاله، وبلغ الغايةَ كمالُه، أو فعلان من النعمة، فأبو حنيفة نعمة اللّٰه تعالى على الخلق.

واتـفقوا أن كنيته أبو حنيفة، مؤنّث حنيف، وهو الناسك أو المسلم، والأوجه فـي تـكـنيته أنه رأس الفروع والشرائع في الملّة الحنيفية البيضاء، وقيل: سبب تـكـنيتـه بذلك ملازمته للدوات المسمّى بحنيفة بلغة العراق، وقيل: كانت له بِـنْـت تسـمّـى بـذلك، وردّ بـأنـه لا يُـعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حمّاد. اهـ مختصراً.

أمـا حِـلْيتـه فـقـال أبـو يـوسف: كـان ربـعةً من أحسن الناس صورةً، وأبـلـغهـم نـطقاً، وأكملهم إيراداً، وأحلاهم نغمةً، وأبينهم حجةً، وقال حمّاد ولـده: كـان طـويلاً، يـعـلـوه سمرة جميلاً، حسنَ الوجه، هيوباً، لا يتكلّم إلا جـوابـاً، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ولا تنافي بين كونه ربعةً وبين كونه طويلاً، لأنــه قـد يـكـون مـع الـربـعة أقـربَ إلى الطول، كما بسطـه شرّاح «شـمائل الترمذي». أوجز المسالك ص ٥٤.

الـمـلك بـن حاز الملك بن مهراس الملك بن ساسان الملك بن بهمن بن إسـفـنـديـار الـمـلك بـن گستـاسب الملك ابن نهراس الملك بن كتمش الـمـلك بـن كي ياسين الملك بن كيابود الملك بن كيقباد الملك بن داد الملك بن ترجمام الملك بن برمان سوه الملك بن منوجهر الكيان الملك، وهـو الـفارس اليهود بن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلّم بن إسحاق بن إبـراهيـم بن آزر، وهو تارخ بن ناحور بن سروع بن زاغو بن فالخ بن عابر، وهو هود النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نـوح الـنبـي صلّى الله عليه وسلّم بن لامك بن متو شالخ بن خنوخ بن يرد بن مهليل بن قينان ابن يانش بن شيث بن آدم صلّى الله عليه وسلّم(١).

ذكر مولد الإمام الأعظم ووفاته

الـصحيح أنه ولد سنة ثمانين. وقيل: إحدىٰ وستين. وقيل: ثلاث وستين، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة(٢).

---

(١) الجواهر المضية ١:٢٥ـ ٢٧، تيسير مصطلح الحديث ٢٢٥.

(٢) الجواهر المضية ١:٢٧.

وأمـا سبب وفاته فقال ابن حجر: إن منصوراً طلبه للقضاء، وأن يكون قـضـاةُ بـلادِ الإسـلام مِـنْ تـحـت أمـره، فـامتنع، فحلف، وغلظ، إن لم يفعل ليـحبسـنّـه، و ليُشَـدّدَنّ عـلـيـه، فـامتـنـع، فـحبسه، وكان يرسل له إن أحببتَ الـخـلاصَ فـاقبلْ، فيمتنع، ولما شدّد الامتناع أمر أن يخرج كلّ يوم، فيضرب عشـرة أسـواط، ويـنادى عليه في الأسواق، فأخرج، وضرب ضرباً موجعاً، =

قال إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة: نحن من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رقّ قط، ولد جدّي سنة ثمانين، ذهب به إلى علي بن أبي طالب، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه، وفي ذرّيته [١]، ومات ببغداد سنة خمسين ومائة على الأصحّ [٢].

=حتى سال عنه الدم على عقبيه، ثم أعيد إلى الحبس، وضيق عليه تضييقاً شديداً، حتى في مأكله ومشربه، ثم فعل به كذلك في الثاني والثالث، ثم هكذا إلى عشرة أيام، فبكى وأكّد الدعاءَ، فتوفّي بعد خمسة أيام.

وروى جماعة أنه رفع إليه قدح، فيه سمّ ليشرب، فامتنع، وقال: إني لأعلم ما فيه، ولا أعين على قتل نفسي، فطرح، ثم صبّ فيه قهراً، فمات، وقيل: كان ذلك بحضرة منصور، وصحّ أنه لما أحسّ بالملك سجد، وخرج وهو ساجداً. مقدمة الأوجز ص ٥٤، ٥٥.

وكلمه ابن هُبَيْرة على أن يلي القضاءَ، فأبى، فضربه مائةَ سوط، وعشرة أسواط كلّ يوم عشرة أسواط، فصبر، وامتنع. انظر: مكانة أبي حنيفة لشيخنا العلامة عبد الرشيد النعماني ص ٦٤.

(١) وقيل: إن جدّه النعمان بن مَرْزبان، هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذجَ في يوم النيروز، وقال: نورزونا كلّ يوم، وفي رواية كان في يوم المهرجان، وقال: مهرجونا كلّ يوم. راجع: مكانة أبي حنيفة في الحديث ٦٤.

(٢) المقدمة على مسند الإمام الأعظم ص ٧، ومقدمة ابن الصلاح ١٩١، والأعلام ٩:٤، والملل والأهواء والنحل ٢:٢٦٥.

واختلفوا في أيّ الشهور مات، فعن محمد بن عمر الواقدي، قال: مات أبو حنيفة، وهو ابن سبعين سنةً، وقال: في شعبان.

وعن أبي حسّان الحسن بن عثمان الزيادي، قال: مات أبو حنيفة رضي الله عنه في رجب.

وقال يعقوب بن شيبة بن الصلت : لم أرَهم يختلفون، أو قال يشكّون أن وفاة أبي حنيفة كانتْ في رجب ببغداد.

ورُوِيَ عن بِشْر بن الوليد، قال : سمعتُ أبا يوسف، يقول: مات أبو حنيفة في النصف من شوّال[١].

ذكر من لقي من الصحابةَ وروايته عنهم

قال الإمام العلامة ابن حجر المكّي شارح «المشكوة»، ناقلاً عن «فتاوى» ابن حجر العسقلاني، أنه (أي الإمام أبا حنيفة) أدرك[٢] جماعةً من الصحابة، كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين، فهو من طبقة

(١) الجواهر المضية ١:٢٧، ٢٨.

(٢) أدرك أبو حنيفة أربعةً من الصحابة بل ثمانيةً، منهم أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وأبو الطفيل، وقد نظم بعضهم أسماءَ بعضِ مَنْ روى عنه الإمام أبو حنيفة من الصحابة، فقال :

أبو حنيفة زين التابعين روى + عن جابر وابن جزء والرضا أنس.

ومعقل وحريثي وواثلة + وبنت عجرد علم الطيبين قبس.

انظر: مكانة أبي حنيفة في الحديث ص١١٢.

التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام، والحمّاد بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة المشرّفة، والليث ابن سعد بمصر(١).

روى أبو يوسف عن أبي حنيفة، قال: رأيتُ أنسَ بنَ مالك في المسجد قائماً يصلّي.

وعن محمد بن سماعة عن أبي يوسف، قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول: حججتُ مع أبي سنة ستّ وتسعين، ولي ستّ عشرة سنةً، فإذا أنا بشيخ، قد اجتمعَ عليه الناس.

فقلتُ لأبي: مَنْ هذا الشيخ؟ قال هذا رجل من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلّم، يقال له عبد اللّه بن الحارث بن جَزْء الزبيدي.

فقلتُ لأبي: أيّ شئ عنده؟

قال: أحاديث، سمعَها من النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، قلتُ: قدّمْني إليه، حتى أسمع منه، فتقدّم بين يديّ. فجعل يفرج عن الناس، حتى دنوتُ منه، فسمعتُ منه، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم: من تفقّه في دين اللّه كفاه اللّه همّه، ورزقَه من حيث لا يحتسب.

وعن بِشْر بن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، قال: سمعتُ أنس بن مالك رضي اللّه عنه، يقول: سمعتُ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: الدالّ على الخير كفاعله، واللّه يحبّ إغاثةَ اللّهْفان.

---

(٣) رد المحتار ١:٦٤، الخيرات الحسان

وعن ابن سماعة وبِشْر بن الوليد، عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، قال: كان علماؤنا كلّهم يقولون في سجدتي السهو :إنهما بعد السلام، ويتشهّد فيهما، ويسلّم.

قال حمّاد بن أبي سليمان[1] : هكذا يفتي أنس رضي الله عنه.

---

(١) وشيخ أبي حنيفة حمّاد بن أبي سليمان يجلسه في صدر الحلقة حذائَه، قال الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد» : أخبرنا الخلّال، أخبرنا الحريري أن النخعي حدّثهم، قال حدّثني جعفر بن محمد بن حازم، قال حدّثنا الوليد بن حمّاد، عن الحسن بن زياد، عن زفر بن الهُذيل، قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول : كنتُ أنظر في الكلام، حتى بلغتُ فيه مبلغاً يشار إليّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حمّاد بن أبي سليمان، فجاءتْني امرأة، وقالت : رجل له إمرأة أمة، أراد أن يطلّقها بالسُنَّة، كم يطلّقها؟ فلم أدرِ ما أقول، فأمرتُها تسأل حمّاداً، ثم ترجع، فتخبرني، فسألتْ حمّاداً، فقال: يطلّقها، وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقةً، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلتْ قد حلّتْ للأزواج، فرجعتْ، فأخبرتْني، فقلتُ: لا حاجة لي للكلام، وأخذتُ نعلي، فجلستُ إلى حمّاد، فكنت أسمع مسائلَه، فأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد، فأحفظها، ويخطأ أصحابه، فقال : لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة. اهـ.

قلت : هذا يدلّ على جودة حفظ الإمام وإتقانه. راجع : مكانة أبي حنيفة في الحديث ص ١٨.

قال أبو حنيفة: سألتُ أنسَ بنَ مالك، فقال هكذا[1].

وحمّاد هو الإمام العلامة فقيه العراق أبو إسماعيل حمّاد بن أبي سليمان الكوفي مولى الأشعريين، أصله من أصبهان. روى عن أنس بن مالك. وتفقّه بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه، وأفقههم، وأقيسهم، وأبصرهم بالمناظرة والرأي. وحدّث أيضاً عن أبي وائل، وزيد بن وهب، وسعيد بن المسيّب، وعامر الشعبي، وجماعة. روى عنه تلميذُه الإمام أبو حنيفة، وابنه إسماعيل بن حمّاد، والحكم بن عُتيبة، وهو أكبر منه، والأعمش، وزيد بن أبي أُنيسة، ومغيرة، وهِشام الدستوائي، ومحمد بن آبان الجُعفي، وحمزة الزيّات، ومِسْعر بن كِدَام، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجّاج، وحمّاد بن سلمة، وأبو بكر النَّهْشلي، و خلق كثير. كان أحدَ العلماء الأزكياء والكِرام الأصفياء، له ثروة، وحِشمة، وتجمّل، قال شعبة: كان حمّاد ومغيرة أحفظَ من الحكم، وقال يحيى بن سعيد: حمّاد أحبّ إليّ من مغيرة. راجع: «سير أعلام النبلاء» ٥:٢٣١-٢٣٩، و«طبقات ابن سعد» ٦:٣٣٢، و«تهذيب الكمال» ٥:٢٤٣، و«العبر» ١:١٥١، و«تهذيب التهذيب» ٣:١٦، و«فقه أهل العراق وحديثهم» ص ١٤١.

(١) رأى (أبو حنيفة رحمه الله تعالى) أنساً رضي الله تعالى عنه. وروى عن ١ـ عطاء بن أبي رباح ٢ـ ونافع ٣ـ وعدي بن ثابت ٤ـ وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ٥ـ وعكرمة ٦ـ ومحارب بن دِثار ٧ـ وعلقمة بن مرثد ٨ـ وسليمان بن كُهيل ٩ـ وحمّاد بن أبي سليمان ١٠ـ والحكم بن عُتيبة =

وروى العبّاس بن بكّار، قال: أنبأ عمرو عن أبي حنيفة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال : كأني أنظر إلى لِحْيَة أبي قحافة، كأنها ضِرَام عرفج[١].

فوز الإمام بفضل التابعية وبيان مشايخه وتلاميذه

قد عدّ بعضُ العلماءِ مَنْ أدركهم الإمامُ من الصحابة بالسنّ[٢]، وهم:أنس

= ١١ ـ وأبي جعفر الباقر ١٢ ـ وقتادة ١٣ ـ وعمرو بن دينار وخلق سواهم. وقيل: إنهم روى ١٤ ـ عن الشعبي ١٥ ـ وطاؤوس.

وعنه ١ ـ ابنه حمّاد ٢ ـ وحمزة الزيّات ٣ ـ داوُد الطائي ٤ ـ زفر بن الهُذَيل ٥ ـ ونوح بن أبي مريم ٦ ـ وأبو يوسف القاضي ٧ ـ محمد بن الحسن ٨ ـ وابن المبارك ٩ ـ وأبو يحيى الحِماني ١٠ ـ والوكيع ١١ ـ حفص بن عبد الرحمن البجلي ١٢ وسعد بن الصلت ١٣ ـ وأبو نعيم ١٤ ـ أبو عبد الرحمن المُقرئ ١٥ ـ والحسن بن زياد اللؤلؤي ١٦ ـ وأبو العاصم النبيل ١٧ ـ وعبد الرزاق ١٨ ـ وعبيد الله بن موسى، وخلق كثير. انظر: مكانة أبي حنيفة في الحديث ص٩٠ ـ ٨٩.

(١) المناقب للموفق ١:٢٥،٢٦،٢٧.

(٢) وتابعية الإمام من المسائل المختلفة الشهيرة، فمن مثبت له ونافٍ، وتفصيله يقتضى البسطةَ في الكلام، وليس هذا محلّه والحقّ الذي يُرْشِدُ إليه ملاحظةُ كتبِ الرجال والتواريخ والأصول أن التابعي عند أهل الفنّ على نوعين باعتبار الرؤية وباعتبار الرواية، والمختلف فيه عند المؤرّخين =

بن مالك الأنصاري، وسهل بن سعد بن حنيف الأنصاري أبو أمامة، وبُسْر

=هو الثاني، وأما الأول فجمهور أهل الرجال على ثبوته. قال ابن حجر المكّي الشافعي رحمه الله تعالى: كما قال الذهبي إنه رأى أنس بن مالك، وهو صغير، وفي رواية رأيتُه (أي أنساً) مراراً، وكان يخضب بالحمرة، وفي «فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر» أنه أدركَ جماعةً من الصحابة كانوا بالكوفة، فهو من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين، كالأوزاعي بالشام، والحمّادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة، والليث بن سعد بالمصر. اهـ. فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قولُه: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. انظر: مقدمة أوجز المسالك قال العلامة شمس الدين القُهُسْتَاني رحمه الله تعالى في مقدمة «جامع الرموز» شرح «مختصر الوقاية» المسمّى بـ «النقاية» ١: ٦ طبع كلكتة سنة ١٢٧٤ هـ، ما نصّه: إن الإمام من التابعين، رأى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

كما قال الشيخ الجزري في «أسماء الرواة»، بل من أكابره، كما في كشف الكشّاف» في سورة النور، ولا يضرّه ما في «جامع الأصول» أن ذلك مما لايثبت، فإنه قال في آخر كلامه: إن أصحابه أعلم بحاله من غيره، فالرجوع إلى ما نقله عنه أولى من غيرهم.

والعلامة القُهُسْتَاني محمد شمس الدين المفتي ببخارى من مشاهير أهل العلم.كان إماماً عالماً زاهداً فقيهاً متبحّراً، يقال: إنه ما نسي قطّ ما طرق لسمعه، وترجمته مذكورة في «شذرات الذهب» في وَفَيَات سنة ٩٥٣ هـ. راجع: مكانة أبي حنيفة في الحديث ص ١٠٧.

بن أرطاة القرشي العامري، والسائب بن يزيد الكندي، آخر مَنْ مات بالمدينة من الصحابة، وسهل بن سعد الساعدي، وصدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي، وطارق بن شهاب البَجَلِي الكوفي، وعبد الله بن أبي أوفىٰ، وعبد الله بن بِشْر، وعبد الله بن ثعلبة، وعبد الله بن الحارث بن نوفل أبو محمد، وعبد الله بن الحارث بن جَزْء أبو الحارث، وعتبة بن عبد السلمي، وعامر بن واثلة أبو الطفيل، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن حُرَيث القرشي المخزومي، وقبيصة بن ذويب، ومالك بن حُوَيرث، ومحمود بن لبيد، ومِقْدَام بن معديكرب، ومالك بن أوس، وواثلة بن الأسقع[1]. إنه ليس بين الأئمة تابعي غيره.

وقد ذكر ابنُ الصَّلاح أن الإمام مالكاً من تبع التابعين، وأما أبو حنيفة فقد اتفق المحدّثون على أن أربعةً من الصحابة كانوا على عهد الإمام في الحياة، وإن تنازعوا في الرواية عنهم[2].

مشايخ أبي حنيفة من التابعين وغيرهم

حُكِيَ عن أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير رحمه الله أنه وقع منازَعَة في زمنه بين أصحاب أبي حنيفة وبين أصحاب الشافعي، فجعل أصحابُ الشافعي يفضّلون الشافعيَّ على أبي حنيفة.

---

(١) المقدمة على مسند الإمام الأعظم ص ٩.

(٢) مفتاح السعادة ٢:١٧٥.

فقال أبوعبد الله بن أبي حفص : عدّوا مشايخ الشافعي كم هم ؟ فعدّوا، فبلغوا ثمانين، ثم عدّوا مشايخ أبي حنيفة من العلماء والتابعين، فبلغوا أربعةَ آلاف[1] .

فقال أبو عبد الله: هذا من أدنىٰ فضائل أبي حنيفة رحمه الله[2] .

وههنا أذكر عِدّةً من مشايخ الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى:

١ــ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه.

٢ـ أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة الزهري.

---

(١) قال ابن حجر المكّي: هم كثيرون، لا يسع هذا المختصر ذكرَهم، وذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعةَ آلافِ شيخ، وقال غيره : له أربعة آلاف شيخ من التابعين، فما بالك بغيرهم؟ منهم الليث بن سعد، وكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وهذان الإمامان من جملة الآخذين أيضاً، وحكى السيوطي عن الدراوردي، قال : رأيتُ مالكاً وأبا حنيفة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد صلوة العشاء الأخيرة، وهما يتذاكران، ويتدارسان، حتى إذا رمى أحدهما على الذي قال به وعمل عليه، أمسك أحدهما عن صاحبه، من غير تعسّفٍ ولا تخطيةٍ لواحد منهما، حتى صلّى الغداةَ في مجلسهما ذلك. راجع : مقدمة أوجز المسالك ص ٦٥ .

(٢) المناقب للموفق ١:٢٨ .

٣ـ أبو عبد اللّٰه محمد بن المنكدر من بني تيم بن مرّة.

٤ـ محمد بن عبد الرحمٰن بن زُرَارة المدني.

٥ـ محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلىٰ الكوفي.

٦ـ إبراهيم بن محمد بن المنتشِر بن الأجدع الهَمْداني الكوفي.

٧ـ إبراهيم بن عبد الرحمٰن أبو إسماعيل السكسكي الكوفي.

٨ـ إسماعيل بن أبي خالد مولىٰ بجيلة.

٩ـ بلال بن أبي بلال.

١٠ـ بلال بن وهب بن كيسان.

١١ـ أبو حمزة ثابت بن دينار البهني.

١٢ـ جامع بن شدّاد أبو صخر.

١٣ـ جعفر بن محمد الصادق.

١٤ـ حبيب بن أبي ثابت أبو يحيىٰ الأسدي الكوفي.

١٥ـ الحسن بن سعد مولىٰ علي بن أبي طالب.

١٦ـ الحارث بن عبد الرحمٰن الهَمْداني أبو هند.

١٧ـ خالد بن علقمة أبو حيّة الهَمْداني الكوفي.

١٨ـ داؤد بن عبد الرحمٰن بن زاذان.

١٩ـ ربيعة بن عبد الرحمٰن أبو عثمان.

٢٠ـ أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين.

٢١ـ زياد بن علاقة أبو مالك الكوفي.

٢٢ـ زيد بن أسلم أبو أسامة مولى عمر بن الخطّاب.

٢٣ـ زياد بن مَيْسَرة الكوفي.

٢٤ـ زيد بن أبي أنيسة أبو أسامة.

٢٥ـ سِمَاك بن حرب أبو المغيرة البكري الكوفي.

٢٦ـ سلمة بن كُهَيْل أبو يحيىٰ الحَضْرَمي الكوفي.

٢٧ـ صالح بن صالح بن حي الهمداني.

٢٨ـ طلحة بن مصرف اليلمي من همدان.

٢٩ـ عبد اللّٰه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه تعالىٰ عنه.

٣٠ـ عبد اللّٰه بن نافع مولى ابن عمر رضي اللّٰه عنه.

٣١ـ عبيد اللّٰه بن أبي زياد المكّي.

٣٢ـ ليث بن سليمان أبو بكير الكوفي.

٣٣ـ موسى بن طلحة بن عبيد اللّٰه أبو عيسى الكوفي.

٣٤ـ مِنْهال بن الجرّاح.

٣٥ـ يحيى بن سعيد الأنصاري أبو سعيد المدني.

٣٦ـ يحيى بن عبيد اللّٰه بن موهب التيمي القرشي.

٣٧ـ يونس بن عبد اللّٰه بن أبي فَرْوَة المدني رحمهم اللّٰه[١].

١ـ المناقب للموفق ١:٣٩ـ٥٢.

تلامذته الأعلام من الأئمة المجتهدين

جمع الله لأبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ ما لم يجمع لإمام من الأصحاب، الذين هم من كبار الأئمة، الذين هم لبّ الألباب[1].

(١) قال ابن حجر استيعابه متعذّر، لا يمكن ضبطه، ومن ثم قال بعض الأئمة :لا يظهر لأحد من أئمة الإسلام المشهورين مثلُ ما ظهر لأبي حنيفة من الأصحاب والتلاميذ، ولا ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به، وبأصحابه في تفسير الأحاديث المشهورة والمستنبطة والنوازل، وذكر منهم بعض متأخّري المحدّثين نحوَ الثلاثمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم. اهـ.

قلت : لعلّه إشارة إلى محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزّار الكردري، فإنه ذكر في آخر «مناقبه» أسماء تلامذة الإمام قريباً من ثمانمائة مشايخ الفقه والحديث، قال ابن حجر المكّي الشافعي : وتلمّذَ له كبارٌ من مشايخ الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين، كالإمام الجليل المجمع على جلالته عبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، والإمام مالك بن أنس، وناهيك بهؤلاء الأئمة، ومِسعر بن كِدام. اهـ.

قلت : إحصاء تلامذة الإمام كثيرٌ جداً، ذكر منها السيوطي في «تبييض الصحيفة» ثمانمائة وثمانين نفراً، وحكى الموفّق عن ابن السماك يقول : أوتاد الكوفة أربعة : الثوري، ومالك بن مِغْول، وداود الطائي صاحب أبي حنيفة وأبي بكر النهشلي، وكلّهم جالس أبا حنيفة، وحدّث عنه. انظر : مقدمة أوجز المسالك ص ٦٥،٦٦.

منهم: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر، وحسن بن زياد، ووكيع، وعبد الله بن المبارك[١]، وعافية بن يزيد، وداؤد الطائي، ويوسف بن خالد السمتي، ومالك بن مِغْوَل البَجَلي، ونوح بن أبي مريم، وفي مثله قال الفرزدق الشاعر:

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم ÷ إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامع.

وحقّ للإمام أن يقول:

أولئك أبنائي فجئْني بمهثلم ÷ إذا جمعتْنا يا عتيدُ المناقب[٢].

واعلم أن الأئمة الذين أخذوا العلم عن الإمام لايحصون عدداً، وقد عرفوا منهم سبعمأ ة وثلاثين رجلاً من مشايخ البلدان وأئمة المسلمين، الذين وصل إلينا العلمُ بسعيهم واجتهادهم.

منهم: حمّاد بن الإمام[٣]، وهو أبو إسماعيل، وحبّان ومنديل ابنا

---

(١) قلت: إن إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري كان من أصحاب الإمام عبد الله بن المبارك، الذي هو خواصّ أصحاب فقيه الملّة أبي حنيفة الإمام. انظر: الهوامش على دراسات اللبيب ١:٣٠.

(٢) مفتاح السعادة ٢:١٩٣،١٩٤.

(٣) هو تفقّه على أبيه، وأفتى في زمانه، وتفقّه عليه ابنه إسماعيل، وهو من طبقة أبي يوسف ومحمد بن زياد، وكان الغالب عليه الورع والزهد، واستقضى على الكوفة بعد قاسم بن معين الكوفي تلميذ أبي حنيفة. أنظر: الفوائد البهية ص ٦٩.

علي الغزّي الكوفي، وعلي بن مُسْهِر الكوفي، والقاسم بن مَعْن بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود الكوفي، وأسد بن عمرو بن عامر الكوفي، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله بن سلمة البَلْخي، راوي «الفقه الأكبر» عن أبي حنيفة[١].

الليث بن سعد المتوفّىٰ سنة ١٧٥هـ، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة الحافظ الثبت المتوفّىٰ سنة ١٨٢هـ، وحفص بن غياث القاضي المتوفّىٰ سنة ١٩٤هـ.[٢].

تقدّم الإمام الأعظم على غيره من الأئمة الأربعة

قال بعض المصنّفين: إنما قدّمنا ذكرَالإمام مالك، لأنه المقدّم زماناً وقدراً ومعرفةً وعلماً، ونحن نقول: إن المقدّم زماناً هو الإمام أبو حنيفة على التحقيق، لأن الإمام أبا حنيفة ولد سنة ثمانين، كذا ذكره الواقدي والسمعاني عن أبي يوسف، وذكر السمعاني أيضاً عن مزاحم بن زياد أنه ولد عام إحدىٰ وستين، والأول أكثر وأثبت، وإن الإمام مالكاً ولد سنة خمس وتسعين، ومات سنة تسع وسبعين ومائة، أما الإمام الشافعي فالمشهور أنه ولد يوم مات أبو حنيفة[٣].

---

(١) مفتاح السعادة ٢:٢٣٢-٢٣٦.

(٢) مقدمة نصب الراية ص ٤٠،٤١.

(٣) مفتاح السعادة ٢:١٨٤.

قال الفاضل اللكنوي : الصحيح المرجّح هو كونه من التابعين، فإنه رأى أنساً رضي الله عنه، بناءً على أن مجرّدَ رؤيةِ الصحابة كافٍ للتابعية، كما حقّقه الحافظ ابن حجر، والذهبي، والسيوطي، وابن حجر المكّي، وابن الجوزي، والدار قطني، وابن سعد، والخطيب، والولي العراقي، وعلي القاري، وأكرم السندي، وأبو معشر، وحمزة السهمي، واليافعي، والجزري، والتوربشتي، والسراج، وغيرهم من المحدّثين والمؤرّخين المعتبَرين، ومَنْ أنكرَه فهو محجوجٌ عليه بأقواله[1].

وقال شيخُنا الناقد المحدّث العلامة محمد عبد الرشيد النعماني رحمه الله تعالىٰ رحمةً واسعةً في تعليقاته على «ذبّ الذبابات» : إنه قد وجد الإجماعُ على فضل أبي حنيفة على الثلاثة من الأئمة الأربعة، وجلالةِ قدره، وتحقّق فيه إجماعٌ لم يوجدْ مثلُه في فضل البخاري ومسلم، على غيرهما من المحدّثين، وفيهم مَنْ هو أعلىٰ شأناً منهما، كأحمد بن حنبل، بل الأئمة الأربعة[2]

✿✿✿

---

(١) التعليق الممجّد ص ٣١،٣٢.

(٢) ذب الذبابات ٢: ٢٥٠.

مكانة الإمام الأعظم في علم الحديث

إمام الأئمة سراج الأمّة فقيه الملّة حافظ السنّة الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، فغلب الناسَ بالحفظ والفقه والصيانة وشدّة الورع.

فقد روى الحافظ الذهبي في مناقب أبي حنيفة عن مِسْعَر بن كِدام، قال: طلبتُ مع أبي حنيفة الحديثَ، فغلبَنا، وأخذنا في الزهد، فبرع علينا، وطلبْنا معه الفقهَ، فجاء منه ما ترون[1].

وقال الحافظ السمعاني في «الأنساب»: اشتغل بطلب العلم، وبالغَ فيه، حتى حصل له ما لم يحصل لغيره، ودخل يوماً على المنصور، فكان عنده عيسى بن موسىٰ، فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا اليوم.

١ـ وكان مِسْعر بن كِدام يقول: ما أحسد أحداً من كوفة إلا رجلين أبو حنيفة في فقهه والحسن بن صالح في زهده، وقال مِسْعر أيضاً: من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوتُ أن لا يخاف، ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه. راجع: مكانة أبي حنيفة في الحديث ص ٦٤، ٦٥.

ورأى أبو حنيفة في المنام أنه يَنْبُشُ قبرَ النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقيل: لمحمد بن سيرين، فقال: صاحب هذه الرؤيا يُثَوِّرُ علماً[١]، لم يسبقْه أحدٌ قبلَه[٢].

وروى الحافظ أبو أحمد العسكري بسنده إلى مكّي بن إبراهيم[٣] الحافظ الإمام شيخ خراسان، قال: كان أبو حنيفة زاهداً، عالماً، راغباً في الآخرة، صدوقَ اللسان، أحفظَ أهل زمانه[٤].

---

(١) يُثَوِّر علماً أي يستخرج علماً.

(٢) وفيات الأعيان ٥:٤٠٩.

(٣) قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: هو الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو السكن التميمي الحنظلي. حدّث عن يزيد بن أبي عبيد، وجعفر الصادق، وبهز بن حكيم، وأبي حنيفة، وهشام بن حسان، وابن جريج، وخلق، وعنه البخاري، وأحمد، وابن معين، والذهلي، وعباس الدوري، وخلق. قال عبد الصمد بن الفضل البجلي: سمعته يقول حججتُ ستين حجةً، وتزوّجتُ ستين امراةً، فجاوزتُ عشر سنين، وكتبتُ عن سبعة عشرة من التابعين. قلت: كان من العباد، قال ابن سعد: ثقة ثبت، وقال الدار قطني: ثقة مأمون، وفي «جامع المسانيد» هو من أصحاب أبي حنيفة، يروي عن الكثير. قلت: وهو من كبار شيوخ البخاري، يروي أكثرَ ثلاثياتِه عنه، وحديثه عند الجماعة كلّها. انظر: أبو حنيفة وأصحابهم المحدّثون ص ١٠٨.

(٤) ما تمسّ إليه الحاجة ص ١٠، ومناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة المكّي ١:٢١٣، ٢١٤.

ذكر العلامة الصَّيْمَري أن الإمام أبا حنيفة يقول: إني آخذٌ بكتاب اللّٰه إذا وجدتُه، وما لم أجدْ فيه أخذتُ بسنّة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، وبآثار الصحاح عنه التي فشتْ في أيدي الثقات[1].

وعن الفُضيل بن عِياض قال: كان أبو حنيفة إذا وردتْ عليه مسألةٌ، فيها حديث صحيح اتَّبَعَه، وإن كان عن الصحابة والتابعين كذلك، وإلا قاسَ، فأحسنَ القياسَ.

وعن أبي حَمْزَة السكري قال: سمعتُ أبا حنيفة إذا جاء الحديثُ عنه صلّى اللّٰه عليه وسلّم لم أعدلْ عنه إلى غيره، وآخذ به.

وروى ابنُ كأس عن الحافظ عبد العزيز بن أبي روّاد، قال: من أحبّ أبا حنيفة فهو سُنّيّ، ومن أبغضَه فهو مبتدِع، ورواه أبو محمد الحارثي عن الحافظ المذكور بلفظ بيننا وبين الناس أبو حنيفة، فمن تولّاه وأحبّه علمنا أنه من أهل السنّة، ومن أبغضَه علمنا أنه من أهل البدعة[2].

وقال إمام الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطّان: إنه واللّٰه لأعلم هذه الأمة بما جاء عن اللّٰه ورسوله، ذكره الإمام مسعود بن شيبة السندي في «مقدّمة كتاب التعليم»، نقلاً عن كتاب الإمام الطحاوي، الذي جمع فيه أخبارَ أصحابِنا الحنفية[3].

(١) المناقب للصيمري.

(٢) ذب ذبابات الدراسات ٢:٦٧٧.

(٣) ما تمسّ إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه ص ١٠

قال العلامة الكوثري في تعليقه على «الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء» للإمام ابن عبد البرّ المالكي: تابع ابن عبد البرّ في الاقتصار على هؤلاء أبا داؤد صاحبَ «السنن»، كما أخرجه عنه، حيث قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: نا ابن داسة، قال: سمعتُ أبا داؤد، يقول: رحم الله مالكاً كان إماماً، رحم الله الشافعي كان إماماً، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً.

وقال الأعمش: أراه بورك له في علمه، ولما خرج للحجّ وصار بالحيرة قال لعلي بن مُسْهِر: إذهبْ إلى أبي حنيفة، حتى يكتبَ لنا المناسك.

وسُئل يحيى بن مَعين عن أبي حنيفة، فقال: ثقةٌ (وهذا لفظ جامع بين العدالة والضبط) ما سمعتُ أحداً ضعّفَه، هذا شعبة بن الحجّاج يكتب إليه أن يحدّث، ويأمره، وشعبة شعبة.

وقال علي بن المَديني: هو ثقة لا بأس به، كما في «جامع بيان العلم» لابن عبد البرّ.

وقال الحسن بن مالك: سمعتُ أبا يوسف يقول: سفيانِ الثوري أكثرُ متابعةً لأبي حنيفة مني.

وقال الحسن بن صالح: كان النعمان بن ثابت فهماً، عالماً، متثبّتاً في علمه، إذا صحّ عنده الخبرُ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يعده إلى غيره.

وقال سفيان بن عيينة : أول مَنْ أقعدَني للحديث بالكوفة أبو حنيفة، أقعدَني في الجامع، وقال: هذا أقعدُ الناس بحديث عمرو بن دينار[١].

وأيضاً قال: ما مقلتُ مثلَ أبي حنيفة، العلماء ابنُ عباس في زمانه، والشعبيُّ في زمانه، وأبو حنيفة في زمانه[٢].

وقال أبو يوسف : ما رأيتُ أحداً أعلمَ بتفسير الحديث من أبي حنيفة، وقال كان أبو حنيفة لايرىٰ أن يروي من الحديث، إلا ما حفظه عن الذي سمعه منه

وأيضاً قال: كنتُ ربما مِلتُ إلى الحديث، وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني[٣].

وقال زُهَيْرُ بن معاوية في قصّة : فعلمتُ أنه (أبا حنيفة) متّبع لما سمع (أي من الحديث).

وعن داؤد بن المحبر : قيل لأبي حنيفة : المُحْرِم الذي لا يجد الإزارَ يلبس السراويل ؟

قال : لا . ولكن يلبس الإزارَ.

قيل له : ليس له إزار.

---

(١) مقدمة فتح الملهم ١:١٨٨، ١٨٩ .

(٢) مقدمة كتاب الآثار للعلامة النعماني ص ٧ .

(٣) مقام أبي حنيفة ص ٧٥ .

قال:يبيع السراويلَ، ويشتري بها إزاراً.

قيل له : فإن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم خطب، وقال: المُحْرِم يلبس السراويلَ إذا لم يجد الإزارَ.

فقال أبو حنيفة : لم يصحّ في هذا عندي عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم شيءٌ، فأفتيْ به، وينتهي كلّ امرئ إلى ما سمع، وقد صحّ عندنا أن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم قال : لا يلبس المُحْرِمُ السراويلَ، فننتهي إلى ما سمعنا.

قيل له : أتخالف النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم ؟

فقال : لعن اللّٰه مَنْ يخالف رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، به أكرمَنا اللّٰه، وبه استنقذَنا.

ورُوِيَ عن ابن المبارك، قال : سمعتُ سفيانَ الثوري يقول : كان أبو حنيفة شديدَ الأخذ للعلم، ذابّاً عن حرم اللّٰه أن يستحلّ، يأخذ بما صحّ عنده من الأحاديث، التي كان يحملها الثقات، وبالآخر من فعل رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، وبما أدركَ عليه علماءَ الكوفة، ثم شنّعَ عليه قومٌ، يغفر اللّٰه لنا ولهم[1].

قال الإمام عبد اللّٰه بن المبارك : لولا أن اللّٰه تداركَني بأبي حنيفة وسفيان لكنتُ بدعياً[2].

---

١ ـ مقدمة فتح الملهم ص ١٩١، ١٩٢.

٢ ـ مناقب الإمام الأعظم للذهبي ص ١٨.

قال شيخ الإسلام يزيد بن هارون : كان أبو حنيفة تقياً، فقيهاً، زاهداً، عالماً، صدوقَ اللسان، أحفظَ أهلِ زمانِه، سمعتُ كلّ مَنْ أدركتُه من أهل زمانه أنه ما رأى أفقهَ منه[١].

ذكر صدر الأئمة في «مناقبه» للإمام الأعظم : أن شيخ الإسلام أبا عبد الرحمٰن المقرئ إذا روى الحديثَ عن أبي حنيفة الإمام يقول : حدَّثَنا أبو حنيفة شاه مردان[٢].

ورُوِيَ عن محمد بن إسماعيل الضِّراري قال: سمعتُ أبا عبد الرحمٰن المُقرئ يقول : واختلف الناسُ عنده، فقال قوم : حدّثنا عن أبي حنيفة، قال قوم : لا حاجةَ لنا فيه، فقال المُقرئ : ويحكم! أتدرون مَنْ كان أبو حنيفة ؟ ما رأيتُ أحداً مثلَ أبي حنيفة[٣].

وقد أثنىٰ على الإمام جماعةٌ من الأئمة، هم عدول هذه الأمة، فقد روىٰ عباس بن محمد الدوري : قال : سمعتُ يحيى بن مَعين يقول : أصحابنا يفرطون في أبي حنيفة وأصحابه، فقيل له : أ كان أبو حنيفة يكذب ؟ قال : كان أنبلَ من ذلك.

وذكر محمد بن الحسين المَوْصِلي الحافظ في آخر كتابه في الضعفاء : قال يحيى بن مَعين : ما رأيت أحداً أقدمه على وكيع، وكان

(١) المناقب للصيمري، ومقدمة كتاب الآثار ص ٧،٨.

(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة ٢:٣٢.

(٣) مقدمة فتح الملهم ص ١٩٢.

يفتي برأي أبي حنيفة، وكان يحفظ حديثَه كلّه، وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثاً كثيراً.

قال وقيل ليحيى بن مَعين: يا أبا زكريا! أبو حنيفة كان يصدق في الحديث؟ قال: نعم صدوق.

قال قيل ليحيى بن مَعين: أيّما أحبّ إليك؟ أبو حنيفة أو الشافعي أو أبو يوسف القاضي؟

فقال: أما الشافعي فلا أحبّ حديثَه، وأما أبو حنيفة فقد حدّث عنه قوم صالحون، وأبو يوسف لم يكنْ من أهل الكذب، كان صدوقاً.

وقال الحسن بن علي الحلواني: قال لي شبابة بن سَوَّار: كان شعبة حسنَ الرأي في أبي حنيفة.

قال علي بن المَدِيني: أبو حنيفة روى عنه الثوري، وابن المبارك، وحمّاد بن زيد، وهشيم، ووكيع بن الجرّاح، وعباد بن العوّام، وجعفر بن عون، وهو ثقة، لا بأس به.

وقال يحيى بن سعيد: ربما استحسنّا الشيَ من قول أبي حنيفة، فنأخذ به[1].

وقد رُوِيَ عن حمّاد بن زيد، يقول: سمعتُ أيوبَ، يعني السختيانيّ، وقد ذكر عنده أبو حنيفة بنقص، فقال: ﴿يريدون أن يطفئوا نورَ اللّٰه بأفواههم، ويأبى اللّٰه إلا أن يتمّ نورَه﴾. وقد رأينا مذاهبَ جماعةٍ

(١) عقود الجواهر المنيفة ١:١١، ١٢.

ممن تكلّم في أبي حنيفة قد ذهبتْ واضمحلتْ، ومذهب أبي حنيفة باقٍ إلى يوم القيامة، وكلّما قدم ازداد نوراً وبركةً[1].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: الذي هو من مَهَرَةِ فنِّ الرجال: قمتُ نَقَّالاً للحديث، فرأيتُ سفيانَ الثوري أميرَ المؤمنين في العلماء، وسفيانَ بن عيينة أميرَ العلماء، وشعبةَ عِيَارَ الحديث، وعبدَ الله بن مبارك صرّافَ الحديث، ويحيى بن سعيد قاضيَ العلماء، وأبا حنيفة قاضيَ قضاةِ العلماء، ومَنْ قال لك سواءَ هذا فارمِه في كُناسة بني سُليم[2].

وذكر الإمام الحافظ أبو يحيى زكريا بن يحيى النَّيْسَابوري في كتاب «مناقب أبي حنيفة» له بإسناده إلى يحيى بن نصر بن حاجب، قال: سمعتُ أبا حنيفة رحمه الله تعالىٰ، يقول: عندي صناديقُ من الحديث، ما أخرجتُ منها إلا اليسيرَ الذي ينتفع به[3].

وروى الخطيبُ في «تاريخ بغداد» بسنده المتّصل إلى الحافظ الناقد يحيى بن مَعين قال: كان أبو حنيفة ثقةً، لا يحدّث إلا ما يحفظ، ولا يحدّث بما لا يحفظ[4].

(١) ذب ذبابات الدراسات ٢:٧٤٧.

(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة المكي ٢:٤٥، ومقدمة كتاب الآثار ص ٧.

(٣) ما تمسّ إليه الحاجة ص ١٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٣:٤١٩.

وقـال الإمام الربّاني عبد الوهّاب الشعراني في «ميزانه» : وقد كان أبـو حـنيـفة يشتـرط فـي الـحديث المنقول عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم قبل العمل به أن يرويَه عن الصحابي جمعٌ أتقياءُ عن مثلهم[1].

(١) ولـلإمام أبي حنيفة أصولٌ ناضجةٌ في باب استنباط الأحكام، ربما يرميه بكلّ ما تقدّم مَن يجهل ذلك. ومن تلك الأصول :

١ ـ قبول مرسَلات الثقات إذا لم يعارضْها ما هو أقوى منها.

والاحتـجـاج بـالـمرسَل كان سنةً متوارثةً، جرتْ عليه الأمةُ في القرون الـفـاضـلة، حتـى قـال ابـن الـجرير : ردّ المرسَل مطلقاً بدعة، حدثتْ في رأس المائتين. اهـ. كما ذكره الباجي في « أصوله ». وابن عبد البر في « التمهيد »، وابن رجب في « شرح علل الترمذي ». بل ترى البخاري يحتجّ في «صحيحه » بـمـراسيل، كما يحتجّ بها في « جـزء القراءة خلف الإمام »، وغيـره. بل عند مسلم في « صحيحه » مراسيل، كما تجد بيانَ ذلك في « مقدّمة فتح الملهم شـرح صـحيح مسلم » لـمـولانـا الـمحدّث العثماني ١ :٣٦، وفي « تدريب الراوي » ص ١٢٥ـ١٢٦ـ، ومـن ضـعـف بالإرسال نبذَ شطرَ السنّة المعمول بها.

٢ ـ ومن أصول أبي حنيفة عرض أخبار الآحاد على الأصول المجتمعة عـنـده بـعد استقرائه مواردَ الشرع، فإذا خالفَ خبر الآحاد تلك الأصول يأخذ بـالأصـل، عملاً بأقوى الدليلين، ويعُدُّ الخبرَ المخالفَ له شاذاً، ولذلك نماذج كثيـرة في « مـعـاني الآثار » لـلـطـحـاوي، وليـس فـي ذلك مخالفة للخبر =

وقال الإمام الحارثي : قال القاسم بن عباد : قال علي بن الجعد :

=الصحيح، وإنما فيه مخالفة لخبر بدتْ علة فيه للمجتهد. وصحة الخبر فرعُ خلوِّه من العلل القادحة عند المجتهد.

٣ ــ ومن أصوله أيضاً : عرض أخبار الآحاد على عمومات الكتاب وظواهره، فإذا خالف الخبر عاماً أو ظاهراً في الكتاب، أخذ بالكتاب، وترك الخبر عملاً بأقوى الدليلين أيضاً، لأن الكتاب قطعي الثبوت، وظواهره وعموماته قطعية الدلالة عنده، لأدلةٍ ناهضةٍ مشروحةٍ في مفصّلات كتب الأصول، كـ«فصول » أبي بكر الرازي، و «شامل»الإتقاني، أما إذا لم يخالف الخبر عاماً أو ظاهراً في الكتاب، بل كان بياناً لمجمل فيه، فيأخذ به حيث لا دلالة فيه بدون بيان، ولا يدخل هذا في باب الزيادة على الكتاب بخبر الآحاد، وإن توهّم على ذلك بعض من تعوَّد التشغيب.

٤ ــ ومن أصوله أيضاً : بالأخذ بخبر الآحاد : أن لا يخالف السنة المشهورة، سواء كانت سنةً فعليةً أم قوليةً، عملاً بأقوى الدليلن أيضاً.

٥ ــ ومن أصوله أيضاً : بالأخذ بذلك أن لا يعارض خبر مثله، وعند التعارض يرجّح أحدَ الخبرين على الآخر، بوجوه ترجيح تختلف أنظار المجتهدين فيها، ككون أحد الراويين فقيهاً أو أفقهَ، بخلاف الآخر.

٦ ــ ومن أصوله أيضاً في ذلك : أن لا يعمل الراوي بخلاف خبره، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً، فإنه مخالف لفتيا أبي هريرة، فترك أبو حيفة العملَ به لتلك العلة، ومعه في =

....

=الإعلال بمثل ذلك كثير من السلف، كما تجد نماذج من ذلك في «شرح علل الترمذي» لابن رجب، وإن ارتاي خلاف ذلك أناسٌ ممن فقههم أقرب إلى الظاهرية.

٧ ــ ومن أصوله أيضاً: ردّ الزائد متناً أو سنداً إلى الناقص، احتياطاً في دين الله، كما ذكره ابن رجب. وإغفال هذا الأصل عند بعض متأخري أصحابنا، في مناقشاتهم مع المخالفين من قبيل إلزام الخصم بما يراه هو.

٨ ــ ومن أصوله أيضاً: عدم الأخذ بخبر الآحاد فيما تعمّ به البلوىٰ ـ أي فيما يحتاج إليه الجميع حاجةً متأكّدةً مع كثرة تكرّره ـ فلا يكون طريق ثبوت ذلك غير الشهرة عن التواتر، ويدخل في ذلك الحدود والكفّارات التي تدرأ بالشُّبَه.

٩ ــ ومن أصوله أيضاً: أن لا يدرك أحد المختلفين في الحكم من الصحابة الاحتجاج بالخبر الذي رواه أحدهم.

١٠ ــ ومن أصوله في خبر الآحاد: أن لا يسبق طعن أحد من السلف فيه.

١١ ــ ومنها الأخذ بأخفّ ما ورد في الحدود والعقوبات عند اختلاف الروايات.

١٢ ــ ومنها: استمرار حفظ الراوي لمرويّه، من آن التحمّل إلى آن الأداء، من غير تخلّل نسيان.

١٣ ـ ومنها: عدم تعويل الراوي على خطّه ما لم يذكر مرويّه.=

....

= ١٤ ـ ومنها : الأخذ بالأحوط عند اختلاف الرواية في الحدود التي تدرأ بالشبهات، كأخذه برواية قطع السارق بما ثمنُه عشرةُ دراهم، دون رواية ربع دينار، من حيث أنه ثلاثة دراهم، فتكون رواية عشرة دراهم أحوط وأجدر للثقة، حيث لم يعلم المتقدّم من المتأخّر حتى يحكم بالنسخ لأحدهما.

١٥ ـ ومنها : الأخذ بخبر تكون الآثار أكثر في جانبه.

١٦ ـ ومنها : عدم مخالفة الخبر للعمل المتوارث بين الصحابة والتابعين، في أيّ بلدٍ نزل هؤلاء، بدون اختصاص بمصر دون مصر، كما أشار إلى ذلك الليث بن سعد فيما كتب به إلى مالك. وله أصول أخرىٰ من أمثال ما سبق، تحمله على الإعراض عن كثير من الروايات عملاً بالأقوىٰ.

وقد أشار الحافظ محمد بن يوسف الشامي الصالحي الشافعي صاحب « السيرة الشامية الكبرىٰ » في صدد الردّ على ابن أبي شيبة، إلى بعض ما تقدّم، في « عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان »، ثم قال : فبمقتضىٰ هذه القواعد ترك الإمام أبو حنيفة رحمه الله العمل بأحاديث كثيرة من الآحاد، وأبى الله سبحانَه وتعالى إلا عصمته مما قال فيه أعداؤه، وتنزيهه عما نسبوه إليه.

والحق أنه لم يخالف الأحاديثَ عناداً، بل خالفَها اجتهاداً، بحجج واضحة ودلائل صالحة، وله بتقدير الخطأ أجر، وبتقدير الإصابة أجران.

والطاعنون عليه إما حسّاد، أو جهّال بمواقع الاجتهاد. اهـ.=

أبو حنيفة إذا جاء بالحديث جاءَ به مثل الدرّ[١].

وأيضاً قال: لقد وُجِدَ الورعُ عن أبي حنيفة في الحديث ما لم يوجدْ عن غيره[٢].

وقال صالح بن محمد: سمعتُ يحيى بن مَعين يقول: كان أبو حنيفة ثقةً في الحديث.

وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن مَعين: كان أبو حنيفة لا بأس به، وقال مرّة: هو عندنا من أهل الصدق، ولم يتّهم بالكذب، ولقد ضربه ابنُ هبيرة على القضاء، فأبىٰ أن يكون قاضياً[٣].

عن محمد البغدادي قال: سألتُ يحيى بن مَعين عنه، فقال: هو عدل، ثقة، ما ظنّك بمن عدّلَه ابنُ المبارك ووكيع؟[٤]

= وأما تضعيف بعض أحاديثه من جهة بعض شيوخه أو شيوخ شيوخه بناءً على قول بعض المتأخّرين فيهم، فليس بمستساغ، لظهور أنه أدرىٰ بأحوال شيوخه، وشيوخ شيوخه، وليس بينه وبين الصحابي إلا راويان اثنان في الغالب. انتهى من «تأنيب الخطيب».

(١) ما تَمَسّ إليه الحاجة ص ١١، و ابن ماجه اور علم حديث ص ١٦٥، وجامع مسانيد الإمام الأعظم ٢:٣٠٨.

(٢) المناقب للموفق ١:١٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦: ٣٩٥.

(٤) المناقب للكَرْدَري ١:٩١.

وذكر الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» أن يحيى بن مَعين قال فيه: لا بأس به، لم يكن متّهماً. وهذا اللفظ عن ابن مَعين[1] رئيسِ النقّاد قائمٌ

(١) قال الإمام الكشميري في كتابه العظيم «فيض الباري على صحيح البخاري» تحت قول البخاري في كتاب العلم في باب ما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يتخولّهم بالموعظة ١٦٩:١ حدّثنا محمد بن بَشّار، حدّثنا يحيى، قال: حدّثنا شعبة ...

قال رحمه الله تعالى: يحيى هذا هو يحيى بن سعيد القطّان، إمام الجرح والتعديل، وأول مَنْ صنّفَ فيه، قاله الذهبي.

وكان يفتي بمذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وتلميذه وكيع بن الجرّاح تلميذ للثوري، وهو أيضاً حنفي، ونقل ابنُ مَعين أن يحيى القطّان سُئل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فقال: ما رأينا أحسنَ منه رأياً، وهو ثقة، ونُقِلَ عن ابن مَعين: قال: إني لم أسمع أحداً يجرح على أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

فعلم أن الإمام الهمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى لم يكن مجروحاً إلى زمن ابن مَعين رحمه الله تعالى، ثم وقعتْ وقعةُ الإمام أحمد رحمه الله تعالى - مسألة خلق القرآن -، وشاعَ ما شاعَ، وصارتْ جماعة المحدّثين فيه فِرَقاً، وإلا فقبل تلك الواقعة توجد في السلف جماعةٌ تفتي بمذهبه. انتهى.

وقال الإمام الكشميري أيضاً في مقدّمة «فيض الباري» ص ٥٨: واعلمْ أن البخاري مجتهد، ولا ريبَ فيه، وما اشتهرَ أنه شافعي فلموافقته إياه في المسائل المشهورة، وإلا فموافقته للإمام الأعظم ليس أقلّ مما وافقَ فيه=

مقامَ قولِه ثقة. صرّح به الحافظ ابن حجر وغيره[١].

وروى بِشْر بن الوليد عن أبي يوسف، قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة، لاينام الليلَ، فقال: والله لا يتحدّث عني بما لم أفعلْ، فكان يُحيي الليلَ صلاةً ودعاءً وتضرّعاً[٢].

قال خاتمةُ المحدّثين في «العقود» أيضاً: كان أبو حنيفة من أعيان الحفّاظ والمحدّثين، ومن كِبار حفّاظ الحديث.

وذكره الحافظ الناقد أبو عبد الله الذهبي في كتابه «الممتع»، وفي «طبقات الحفّاظ» من المحدّثين في الحفّاظ منهم، قال: ولقد أصابَ وأجادَ، ولولا كثرةُ اعتنائه بالحديث ما تهيّأ له استنباطُ مسائلِ الفقه، فإنه أولُ مَنْ استنبطَها من الأدلّة، وعدمُ ظهورِ حديثِه في الخارج لا يدلّ على عدم اعتنائه بالحديث، كما زعم بعضُ مَنْ يحسدُه[٣].

عن ابن المبارك، قال: قال سفيان الثوري: كان أبو حنيفة والله

= الشافعي، وكونه من تلامذة الحُمَيدي لا ينفع، لأنه من تلامذة إسحاق بن راهويه، وهو حنفي، فعدّه شافعياً باعتبار الطبقة ليس بأولى من عدّه حنفياً. انتهى. انظر: «قواعد في علوم الحديث» ص ٣١٢-٣١٣.

(١) مقدمة عمدة الرعاية ص ٣٤، وتذكرة الحفّاظ للذهبي ١:١٦٨.

(٢) العِبَر في خبر من غبر ١:١٦٤.

(٣) ذبّ الذبابات ٢:٦٧٣.

شديداً لأخذ العلم، ذابّاً عن المَحَارم، متّبعاً لأهل بلده، لا يستحلّ أن يأخذ إلا بما صحّ[١] من آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، شديدَ المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخِه، وكان يطلبُ أحاديثَ الثقات، والآخرَ مِنْ فعلِه صلّى الله عليه وسلّم.

وعن نعيم بن عمر، قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول: عجباً للناس يقولون: أفتي بالرأي، ما أفتي إلا بالأثر[٢].

قال إمامُ أهلِ بلخ خلفُ بن أيوب: صار العلم من الله تعالىٰ إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه، فمَنْ شاءَ فليرضَ، وما مَنْ شاءَ فليسخطْ[٣].

(١) قال ابن حَزْم: جميع الحنفية مجتمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي، فتأملْ هذا الاعتناءَ بالأحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده، كذا في «خيرات الحِسان» ص ٧٨.

وقال العلامة المحدّث علي القاري في «المرقاة» ١:٣: إن مذهبهم القوي تقديم الحديث الضعيف على القياس المجرّد الذي يحتمل التزييف.

قال الشيخ عبد الفتاح رحمه الله تعالى: بل اختلف ساداتُنا الحنفية فيما يتعارض قول الصحابي والقياس، فأيّهما يقدّم؟ قال فخر الإسلام البزدوي: أقوال الصحابة مقدّمة على القياس، سواء كان فيما يدرك بالقياس أو لا. راجع: «قواعد في علوم الحديث» ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) ذب الذبابات ٢:٦٧٦.

(٣) مقدمة كتاب الآثار لشيخنا النعماني ص ٩.

ولقد أحسنَ المُقرئ الإمام المحدّث شيخُ الإسلام أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يزيد الكوفي، حيث كان إذا حدّث عن أبي حنيفة يقول: حدّثنا شاهان شاه، فقد روى الخطيب الحافظ (وتعصّبه البالغ على أبي حنيفة معروف) أخبرَني أبو بِشْر الوكيل وأبو الفتح الضبي، قال: نا عمر بن أحمد الواعظ، نا محمد بن مخزوم، نا بِشْر بن موسىٰ، نا أبو عبد الرحمٰن المُقرئ وكان إذا حدّث عن أبي حنيفة قال: حدثنا شاهان شاه[1].

(١) ما تمسّ إليه الحاجة ص ١٠، وما ينبغي به العناية لمن يطالع الهداية ٢٧.

مكانة أبي حنيفة في الفقه

قال ابن الجوزي في «المنتظم»: لا يختلف الناس في فهم أبي حنيفة وفقهِه، كان سفيان الثوري وابن المبارك يقولان: أبو حنيفة أفقه الناس.

قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ فقال: رأيتُ رجلاً، لو كلّمَك في هذه السارية أن يجعلَها ذهباً لقامَ بحجته[1].

وفي رواية أخرىٰ ماذا أقول في رجل؟ لو ناظرَني في أن نصفَ هذا العمود من ذهب، ونصفَه من فضّة لقامَ بحجّته[2].

روى هارونُ بن سعيد عن الشافعي رحمه اللّٰه تعالىٰ: قال: ما رأيتُ أحداً أفقهَ منه، مَنْ أراد أن يتفقّه فعليه به، وبأصحابه، وإن الناس عيال على أبي حنيفة رحمه اللّٰه تعالىٰ في الفقه، ومعنى قوله "ما رأيتُ،، ما علمتُ، لأنه ولد في السنة التي ماتَ فيها الإمام.

---

(١) تقدمة نصب الراية ص ٣٧.

(٢) عقود الجواهر المنيفة ١:١٢.

وفي رواية الصَّيْمَري: عيال على أبي حنيفة في القياس والاستحسان، قال الواقدي: كان مالك كثيراً ما يقول قولَه. وإن لا يظهره.

وعن إسحاق بن محمد: كان مالك ربما اعتبرَ بقوله في المسائل.

وعن إسماعيل بن أبي فُدَيك قال: رأيتُ مالكاً قابضاً على يد الإمام، وهما يمشيان، فلمّا بلغا المسجدَ قدم الإمام، فسمعتُه يقول: لما دخل المسجد: بسم الله، هذا موضع الأمان، فآمِنّي من عذابِك، ونجّني من النار.

وعن الشافعي رحمه الله تعالىٰ: مَنْ أراد أن يتبحّرَ في المَغَازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، وفي الفقه عيال أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ، وفي النحو عيال الكِسَائي، وفي التفسير عيال محمد بن مقاتِل، وفي الشعر عيال زُهَير.

وعن الشافعي أيضاً: قوله أعظم من أن يدفع بأهوائنا[١].

ذكر الحافظ ابن كثير الشافعي المتوفّىٰ ٧٧٤هـ، في مدح الإمام الأعظم: هو فقيه العراق، أحدُ أئمةِ الإسلام والسادةِ الأعلام، أحدُ أركانِ الأعلام، أحدُ الأئمةِ الأربعةِ، أصحابِ المذاهبِ المتبوعةِ[٢].

---

(١) مفتاح السعادة ٢:١٨١.

(٢) البداية والنهاية ٥:١١٠.

وقـال ابـن خـلّـدون : ومقام أبي حنيفة في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهلُ جلدته، خصوصاً مالك والشافعي[١].

قـال أبـو بـكـر المَرْوَزِي : سمعتُ أحمدَ بن حنبل يقول : لم يصحّ عـنـدنا أن أبا حنيفة قال : القرآن مخلوق، وأيضاً قال: سبحان اللّٰه! هو من العلم والورع وإيثار الدار الآخرة بمحلّ لا يدرِكه أحد[٢].

وعـن مـالك بن أنس : وضع أبو حنيفة رحمه اللّٰه تعالىٰ ستّين ألف مسألة في الإسلام.

وعـن الإمـام أبـي بـكر بن عتيق : أنه وضع خمسَمائةِ ألفِ مسألة، وذكـر الـخطيب الخوارزمي أنه وضع ثلاثَمائةِ ألفِ مسألة، ثمانيةً وثلاثين ألفاً في العبادة، والباقي في المعاملة، لو لا هذا لبقي الناسُ في الضلالة[٣].

قـال الـقاضي عياض في « تـرتيب المدارك » : قـال الليث لمالك : أراك تعرق؟ فقال مالك : عرقتُ مع أبي حنيفة، إنه لفقيه، يا مصري![٤]

وقال مِسْعَر بن كِدام[٤] : رحم اللّٰه أبا حنيفة إنه كان لفقيهاً، عالماً.

(١) مقدمة ابن خلّدون ٤٤٧.

(٢) مناقب أبي حنيفة للإمام الذهبي ٢٧.

(٣) مفتاح السعادة ٢:١٨١.

(٤) مقدمة نصب الراية ص ٣٧.

(٥) ومِسعـر هـذا هو الإمام الحافظ أبو سلمة الهلالي الكوفي أحد =

وعن أبي حَمْزَة الثمالي قال : كنا عند أبي جعفر محمد بن علي : فدخل عليه أبو حنيفة، فسأله عن مسائل، فأجابه محمد بن علي، ثم خرج أبو حنيفة، فقال لنا أبو جعفر: ما أحسنَ هديَه وسَمْتَه، وما أكثرَ فقهَه!

قال شبابة بن سَوَّار : كان شعبة حسنَ الرأي في أبي حنيفة، ولما أخبرَ بموت أبي حنيفة قال شعبة بن الحجّاج : لقد ذهبَ معه فقهُ أهل الكوفة[1]، تفضّل الله علينا وعليه.

وقد اعترف ابنُ عيينة بكونه فقيهاً، وبأن له مروءةً وكثرةَ صلوةٍ، وقد اعترف سعيدُ بن أبي عروبة بفضله، وقال : كان أبو حنيفة عالم العراق.

=الأعلام ومرجع الأئمة، وقد روى الحافظ أبو محمد الحسن بن خلّاد الرامَهُرْمُزي في «المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي» ص ٣٩٥ حدّثنا عبد الله بن أحمد الغَزَّاء، قال: سمعتُ إبراهيم بن سعيد الجوهري يقول : كان شعبة وسفيان إذا اختلفا قالا: اذهَبَا بنا إلى الميزان مِسْعر. انظر : هامش «الإمام ابن ماجه وكتابه السنن» ص ٥٠.

(١) قال الإمام السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ بمن ذمّ التاريخ» ص ١٣٩ عند ذكر مزية أهل الكوفة: والكوفة نزلها ابن مسعود وعمّار بن ياسر وعلي بن أبي طالب، وخلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم، ثم كان بها أئمة التابعين، كعلقمة، ومسروق، وعبيدة ـ السلماني ـ والأسود، ثم الشعبي، والنخعي، والحكم بن عتبة، وحمّاد، وأبو إسحاق، ومنصور، =

وقال يحيى بن مَعين : وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوىٰ مذهبَ الكوفيين، وكان يقول: لا نكذب اللّٰه، ربما ذهبنا إلى الشئ من قول أبي حنيفة، فقلنا به[1].

وقال إسماعيل بن داؤد : كان ابن المبارك يذكر عن أبي حنيفة كلّ خير، ويزكّيه، ويقرضه، ويثني عليه.

وكان أبو إسحاق الفَزَاري يكره أبا حنيفة، وكانوا إذا اجتمعوا لم يجترئ أبو إسحاق أن يذكر أبا حنيفة بحضرة ابن المبارك بشئ.

وقد طعن رجلٌ في مجلس ابن المبارك في أبي حنيفة، فقال له : اسكتْ، واللّٰه لو رأيتَ أبا حنيفة لرأيتَ عقلاً ونبلاً.

قال حجر بن عبد الجبّار : قيل للقاسم بن معن : أنت ابن عبد اللّٰه بن مسعود ترضىٰ أن تكون من غلمان أبي حنيفة؟ فقال : ما جلس الناس إلى أحد أنفع مجالسةً من أبي حنيفة.

=والأعمش، وأصحابهم، وما زال العلمُ بها متوافراً إلى زمان ابن عُقْدَة. اهـ.

وقال الإمام محي السنّة النووي في «شرح مسلم» ٤: ١٧٥ في باب القراءة في الظهر والعصر : والكوفة هي البلدة المعروفة، ودار الفضل، ومحلّ الفضلاء، بناها عمر بن الخطّاب رضي اللّٰه تعالى عنه. اهـ. انظر : هامش «الإمام ابن ماجه وكتابه السنن» ص ٦٥.

(١) مقدمة فتح الملهم ص ١٨٨، ١٨٩.

وقال له القاسم: تعال معي إليه، فلما جلس إليه لزمه، وقال: ما رأيتُ مثلَ هذا.

قال سليمان بن أبي شيخ: وكان أبو حنيفة حليماً وَرِعاً سَخِياً.

وقال زهير بن معاوية لرجل: إن ذهابك إلى أبي حنيفة يوماً أنفعُ لك من مجيئك إليّ شهراً.

وقال ابن جريج: بلغني عن كوفيّكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف للّٰه، أوْ قال: خائف للّٰه.

وقيل له: مات أبو حنيفة، فقال: رحمه اللّٰه، قد ذهب معه علمٌ كثيرٌ.

وقال الشافعي رحمه اللّه: كان أبو حنيفة وقولُه في الفقه مسلَّماً له فيه، وقال: مَنْ أراد الفقهَ فهو عيال على أبي حنيفة[1].

قال الإمام أبو بكر عتيق بن داؤد اليماني: فإذا كان اللّٰه قد ضمن لنبيّه صلّى اللّٰه عليه وسلّم حفظَ الشريعة، وكان أبو حنيفة أولَ مَنْ دوّنها فيبعدُ أن يكون اللّٰه تعالىٰ قد ضمنها، ثم يكون أولُ مَنْ دوّنَها على خطأ[2].

وقال المؤرّخ الشهير محمد بن إسحاق بن نديم المتوفّىٰ ٣٨٥هـ: والعلم براً وبحراً، وشرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً تدوينه، أي الإمام

---

(١) مقدمة فتح الملهم ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) مقدمة كتاب الآثار ص ١٢، ١٣، ومناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة ٢:١٣٧.

الأعظم رضي الله عنه[1].

وقال حاتم بن آدم : قلت للفضل بن موسىٰ السيناني : ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة ؟ قال : إن أبا حنيفة جاءَهم بما يعقلون، وبما لا يعقلون من العلم، ولم يتركْ لهم شيئاً، فحسدوه.

وقال عيسى بن يونس : لا تتكلّمنَّ في أبي حنيفة بسوءٍ. ولا تصدّقنَّ أحداً بسيئ القول فيه، فإني والله ما رأيتُ أفضلَ منه وأورعَ منه ولا أفقهَ منه، ذكر هذه الأقوال كلّها ابن عبد البرّ في «الانتقاء» بأسانيده.

وذكر ابن عبد البر بإسناده إلى عبد الله بن صالح بن مسلم العَجَلي : قال: قال رجل بالشام للحكم بن هِشَام الثقفي : أخبِرْني عن أبي حنيفة، قال : كان من أعظم الناس أمانةً، وأرادَه سلطانٌ على أن يتولّىٰ مفاتيحَ خزانتِه، أو يضرب ظهرَه، أختارَ عذابَهم على عذاب الله، فقال : ما رأيتُ أحداً يصف أبا حنيفة بمثل ما وصفته، قال: هو والله كما قلت لك[2].

قال الإمام السيّد محمد مرتضى الزَّبيْدِي : وقرأتُ في كتاب «خلاصة الأثر» للأميني ما نصّه: حكى لي بعضُ العلماء، وأنا بمكّة، عن الشهاب أحمد بن عبد اللطيف الشبيشي الشافعي روايةً عن الإمام شمس الدين محمد بن العلاء البابلي الشافعي، وكان قد وصف بالحفظ والإتقان،

(١) الفهرست لابن نديم ص ٢٩٩.

(٢) مقدمة فتح الملهم ص ١٩١.

أنه كان يقول: إذا سُئلنا عن أفضل الأئمة نقول: أبو حنيفة. انتهى. فهذا غاية الإنصاف من هذا الإمام في حقّ الإمام. أحلّ الله الجميعَ دارَ السلام.

واشتهر عن الإمام الشافعي أنه لما زارَه، وصلّى الصبحَ عند قبره تـرك القنوتَ في الصبح أدباً مع الإمام، لكونه لا يقول به، فانظرْ كثرةَ أدب الأئمة بعضهم مع بعض، وإياكَ والتعصّبَ بغير علم[١].

وقال علي بن معبد بن شدّاد: حدّثَنا عبيد الله بن عمرو، قال: كنتُ في مجلس الأعمش، فجاء رجل، فسأله عن مسألة، فلم يجبْه فيها، ونظر فإذا أبو حنيفة، فقال يا نعمان! قل فيها، قال: القول فيها كذا، قال: مِنْ أين؟ قال: من حديث كذا، أنتَ حدّثتَناه، قال: فقال الأعمش: نحن الصيادلةُ، وأنتم الأطباءُ[٢].

---

(١) عقود الجواهر المنيفة: ١:١٣.

(٢) وههنا نبذة لا بأسَ بإيرادها، وهي ما يرويه الحافظ أبو محمد الحارثي، قال: أخبرنا إبراهيم بن علي الترمذي، أنبأنا محمد بن سعدان سمعتُ مَن حضرَ يزيدَ بنَ هارون، وعنده يحيى بن مَعين وعلي بن المَديني وأحمد بن حنبل وزُهير بن حرب وجماعة آخرون، إذ جاءه مستفتٍ، فسأله عن مسألةٍ قال: فقال: له يزيد: اذهبْ إلى أهل العلم، قال: فقال له علي بن المَديني: أليس أهل العلم والحديث عندك؟ قال: أهل العلم أصحاب أبي حنيفة، وأنتم صيادلة أهـ. ذكره صدر الأئمة في «مناقب الإمام الأعظم» ٢:٤٧، وص ٣٠٢، ٣٠٣. =

ولله درّ القائل:

ومليحة شهدتْ لها ضرّاتُها ÷ والحسن ما شهدتْ به الضرّاتُ[١].

= ولقد صدق يزيد رحمه الله، فإن الفقهاء هم أعلم بمعاني الحديث، كما صرّح به الترمذي في «جامعه» في باب ما جاء في غسل الميت.

وقال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شُبَهِ التشبيه» ص ٢٦ اعلمْ أن في الأحاديث دقائق وآفات، لا يعرفها إلا العلماء الفقهاء، تارةً في نقلها، وتارةً في كشف معناها.

وروي نحوُ هذا من قول الأعمش لأبي حنيفة: أنتم الأطبّاء، ونحن الصيادلة، فقد أخرج الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢: ١٣١، بسنده إلى عبيد الله بن عمر، قال: كنتُ في مجلس الأعمش، فجاءه رجل، فسأله عن مسألة، فلم يجبْه فيها، ونظر، فإذا أبو حنيفة، فقال: يا نعمان! قلْ فيها، قال: القول فيها كذا، قال: مِنْ أين؟ قال: من حيث حدّثتَناه، قال: فقال الأعمش: نحن الصيادلة، وأنتم الأطبّاء. اهـ. ومن ها هنا قال أبو محمدٍ اليزيدي:

ليس يُغني عن جاهل قولُ مُفتٍ ـ عن فلان وقوله عن فلان.

إن أتاه مستر شداً أفتاه ـ بحديثين فيهما مَعْنَيان.

إن مَنْ يحمل الحديثَ ولا يعـ ـرف فيه التأويلَ كالصيد لاني.

حين يلقي لديه كلّ دواء ـ وهو في الطبّ جاهل غيرُ وان.

كما ينقله ابن عبد البر في «الجامع» ٢: ٦٨.

(١) عقود الجواهر المنيفة ١: ١١.

وقال الحسن بن الربيع : سمعتُ عبد الله بن المبارك يقول :

رأيتُ أبا حنيــفة كلّ يوم÷ يزيد نباهـــةً ويزيـد خيـراً.

وينطق بالصواب ويصطفيه÷إذا ما قال أهلُ الجور جوراً.

يـقايِس مــن يقايسه بلـبٍّ÷ومن ذا تجعلون له نظـيراً.

كفانا فقد حمّـــاد وكانت÷مصيبتنا به أمــراً كبيـــراً.

رأيت أبا حنيفة حيــن يؤتي÷ويطلب علمه بحــراً غزيراً[١].

قـال الإمـام السيـوطي الشافعي في «تبييـض الـصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة» : ومـن مناقب أبي حنيفة التي انفردَ بها أنه أولُ مَنْ دوّن عـلمَ الشريعة، ورتّبه أبواباً، ثم تبعَه مالكُ بن أنس في ترتيب «الموطأ»، ولم يسبقْ أبا حنيفة أحد[٢].

وقال الإمام مسعود بن شيبة السندي في «كتاب التعليم»، نقلاً عن «كتـاب الطحاوي»، الـذي جـمـع فيه أخبارَ أصحابِنا الحنفية عن يزيد بن

---

(١) مقدمة فتح الملهم ص ١٩٠.

(٢) ما تمس إليه الحاجة ص ١٢، وتبييض الصحيفة ص ١٤٤.

(٣)قـال يـزيـد بـن هـارون : إن أهـل الـعـلم أصحاب أبي حنيفة، وأنتم صيـادلة، وقـال صـدر الأئـمة الـمكي في «مـنـاقـب الإمـام الأعظم» ٢:٤٧ =

هارون[٣] في كلام طويل : كان سفيان يأخذ الفقه عن علي بن مُسْهِر من قول أبي حنيفة، وإنه استعانَ به، وبمذاكرته على كتابه هذا، الذي سمّاه «الجامع».

وقال الإمام الصيمري: ومن أصحاب أبي حنيفة علي بن مُسْهِر، وهو الذي أخذ عنه سفيانُ علمَ أبي حنيفة، ونسخ منه كتبَه، ذكره الحافظ عبد القادر القرشي في «الجواهر المضية» في ترجمة علي بن مُسْهِر، وعلي بن مُسْهِر هذا هو الإمام الحافظ أبو الحسن القرشي مولاهم الكوفي، قال أحمد العجلي: وكان ممن جمع بين الفقه والحديث، ثقة[١].

=و ص ٣٠٣، اتفقَ أصحابُ الحديث على أن واسطاً ما أخرجتْ مثلَ يزيد بن هارون في حفظه وإتقانه وزهده وأنواع فضائله، رواه عن أبي حنيفة مع فضله وكِبَر سنّه، وسأله عن مسائلَ من الفقه، وكان مائلاً إليه.

قال : وقال يزيد بن هارون برواية إبراهيم بن عبد العزيز، وسُئل متى يُفتي الرجل؟ قال إذا كان مثل أبي حنيفة، وهيهاتَ أن يكون ذلك، ثم قال لا غِنى عن النظر في كتبهم وفي علمهم، فبكتبهم يتفقّه الرجل. انظر : هامش «الإمام ابن ماجة وكتابه السنن» ص ١٢٨.

(١) ما تمس إليه الحاجة ص ١٢، والجواهر المضية ١: ٣٧٨، وتذكرة الحفّاظ للذهبي ١:٢٩١.

قال الشيخ ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب صاحب «المشكوة» في «الإكمال»: ولو ذهبنا إلى شرح مناقبه وفضائله لأطلنا الخطبَ، ولم نصلْ إلى الغرض، فإنه كان عالماً عاملاً، ورعاً زاهداً، عابداً إماماً في علوم الشريعة[١].

وقال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويلَ الصَّمْت، دائمَ الفكر، قليل المحادثة للناس، فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمّات الدين، فمن أوتِيَ الصمتَ والزهدَ فقد أوتِيَ العلم كلَّه[٢].

قال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة: رأيتُ أبا حنيفة، شيخاً، يفتي الناسَ في مسجد الكوفة، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة[٣].

قال أبو وهب محمد بن مزاحم سمعتُ عبد الله بن المبارك، يقول: لولا أن الله أعانَني بأبي حنيفة وسفيان كنتُ كسائر الناس[٤].

قال ضِرَار بن صرد: سئل يزيد بن هارون أيّما أفقهُ، الثوري أو أبو حنيفة؟ قال أبو حنيفة أفقه.

وقال ابن المبارك أبو حنيفة أفقه الناس.

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال ص ٦٢٥.

(٢) إحياء علوم الدين ١:٣٣

(٣) سير أعلام النبلاء ٦:٣٩٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦:٣٩٨، والبداية والنهاية ٥:١١٠.

وقال يزيد : ما رأيت أحداً أورعَ ولا أعقلَ من أبي حنيفة[١].

رجوع الأوزاعي عن سوء الظن بأبي حنيفة

عن ابن المبارك قال : قدمتُ الشامَ على الأوزاعي [٢]، فرأيتُه ببلدة بيروت : فقال مَنْ هذا المبتدِع الخارج بالكوفة؟ يكني بأبي حنيفة، فرجعتُ إلى بيتي، فأخرجتُ من مسائله شيئاً في ثلاثة أيام، فأتيتُ في اليوم الثالث، وكان إمامَ مسجدِهم ومؤذّنَهم، فناولتُه، فنظر في مسألة كتبتُ فيها قال النعمان بن ثابت، فما زال قائماً بعد ما أذّنَ، حتى قرأ

(١) تذكرة الحفاظ ١٦٨:١، وشذرات الذهب ٢٢٨:١.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام علم أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن بن يُحمد الشامي. نسب إلى الأوزاع، وهي العُقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق. وكان أصله من سبي السند، نزل في الأوزاع، وغلب عليه ذلك، اشتهر بأخذ الحديث من أكابر الرواة، ولد عام ٨٨هـ، وتوفّي عام ١٥٧هـ. كان إمام أهل الشام، لم يكن بالشام أعلم منه، قيل : إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت، وكان فوق الربعة، خفيف اللحية، به سمرة، وكان يخضب بالحنّاء، ذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» أن الأوزاعي دخل الحمام ببيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلقَ الحمامَ عليه، وذهب، ثم جاء، ففتح البابَ، ووجدَه ميتاً، قد وضع يدَه اليمنى تحت خدّه، وهو مستقبل القبلة. وقيل : إن امرأته فعلتْ ذلك، ولم تكن عامدةً لذلك، فأمرَها سعيدُ بن عبد العزيز بعتق رقبة.

صدراً منه، ثم أقام، وصلّى، ثم أتى على الكتاب كلّه، وقال لي: مَن النعمان؟ قلتُ: أبو حنيفة الذي ذكرته.

وزاد في روايةٍ ثم التقينا بمكّة، فرأيتُ الأوزاعيّ يجاري أبا حنيفة بتلك المسائل، والإمام يكشف له أكثرَ ما كتبتُ ثمّه، فلما افترقنا قلتُ للأوزاعي: كيف رأيتَه؟ قال غبطتُ الرجلَ لكثرة علمه ووفور عقله، أستغفر الله، لقد كنتُ في غلط ظاهر ألزمه، فإنه بخلاف ما بلغَني عنه، فانظر إلى إنصافه[1].

وعن الفُضَيْل بن عِياض: قال: كان أبو حنيفة فقيهاً، معروفاً، مشهوراً بالورع، معروفاً بالإفضال على مَنْ يطيف، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، كثيرَ الصَّمْت، قليلَ الكلام، حتى ترد عليه مسئلة[2].

وعن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة صاحبَ غوصٍ في المسائل.

وعن جعفر بن الربيع قال: أقمتُ على أبي حنيفة خمسَ سنين، فما رأيتُ أطولَ صَمْتاً منه، فإذا سُئل عن الشئ من الفقه تفتح، وسال كالوادي.

وعن إبراهيم بن عِكْرَمة، قال: ما رأيتُ في عصري كلّه عالماً أورعَ، ولا أزهدَ، ولا أعبدَ، ولا أعلمَ من أبي حنيفة.

وعن علي بن عاصم، قال: لو وُزِنَ عقلُ أبي حنيفة بعقل أهل

---

(١) المناقب للكردري ١:٣٩.

(٢) مقدمة عمدة الرعاية ص ٣٦.

الأرض لرجح بهم[١].

قال الإمام عبد الله بن المبارك : كان الإمام أبو حنيفة عارفاً بالناسخ والمنسوخ، عالماً بهما عريفاً[٢].

عن محمد بن عيسىٰ، قال : سمعتُ روحَ بن عبادة، يقول : كنتُ عند ابن جُرَيج، فأتاه موتُ أبي حنيفة، فاسترجعَ، وترجّعَ، وقال: أيّ علم ذهب.

وقال يحيى بن سعيد القطّان : لا نكذب اللّٰه، ما سمعنا أحسنَ مِن رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا أكثرَ أقوالِه[٣].

وكان الإمام أبو حنيفة رحمه اللّٰه تعالىٰ ربما لا يجيب عن مسألة سنةً، وقال: لأن يخطي الرجلُ عن فهم خير من أ ن يصيب بغير فهم[٤].

وعن المعلّى بن منصور، قال أبو يوسف : ما اتفق قولي وقولُه إلا وجدتُ لها في قلبي قوةً، وما فارقتُه في مسألة إلا وفي قلبي أمثالُ الجبال من الضَّعْف والرِّيْبة[٥].

---

(١) مقدمة عمدة الرعاية ص ٣٦.

(٢) ذبّ ذبابات الدراسات ٢:٤٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦:٤٠٢.

(٤) قواعد الفقه ص ٥٨١.

(٥) الجواهر المضية ٢:٤٥٩.

وعن عثمان المُزَني قال : كان الإمام أفقهَ من حمّاد وإبراهيم وعلقمة والأسود[1].

الأجوبة النادرة من الإمام

قد ذكر عبد المجيد الخوارزمي عن محمد بن مقاتل أن رجلاً جاء، وقال للإمام : ما تقول: فيمن لا يرجو الجنةَ، ولا يخاف النارَ، ولا يخاف اللّه، ويأكل الميتةَ، ويصلّي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لم يرَه، ويبغض الحقّ ويحبّ الفتنةَ؟

فقال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل.

فقال الإمام : هذا رجل يرجو اللّه تعالىٰ لا الجنةَ، ويخاف اللّه تعالىٰ لا النارَ، ولا يخاف اللّه الظلمَ عليه من اللّه في عدله، ويأكل السمكَ والجرادَ، ويصلّي على الجنائز، ويشهد بالتوحيد، ويبغض الموتَ، وهو حقّ، ويحبّ المالَ والولدَ، وهما فتنة.

فقام السائل، وقبّلَ رأسَه، وقال: أشهد أنك وِعَاء للعلم.

وذكر العلامة حُسَامُ الملّة السغناقي: أن رجلاً جاء إليه، وقال بواو أم بواوين؟

فقال : بواوين، فقال بارك اللّه فيك، كما بوركَ في لا ولا، فلم يعلم الحاضرون ما قال، فقال الحاضرون : ما هذا الكلام ؟

---

(١) الجواهر المضية ٢:٤٥٩.

فقال: سألني عن التشهّد بواو أم بواوين ؟

فقلت : بهما، فقال: بارك اللّٰه فيك، كما بورك في شجرةٍ، لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ.

وذكر الديلمي عن علي بن عثّام، قال لما فرّ الإمام إلى المدينة، وكان فيها حسين بن زيد العلوي والياً من جهة بني العبّاس، فقال لغلامه : خذْ بلِجَام دابة الشيخ، وقل له: مَنْ خيرُ الناس بعد النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم ؟

فقال العبّاس: فسكتَ، وكان غرض العلوي أنه إذا قال : الصدّيق آذاه، وإذا قال: مرتضىٰ لامَه في ترك مذهبه. فلما اختار الثالثَ لم يتمالك أن يقول: شيئاً، خوفاً من بني العباس انتهى. وكان الإمام قصد به الخيرية من الحيثية النسبية، وقد ورد أنه في المعارض لمندوحة عن الكذب، وثبت أن الحرب خَدْعة[1].

٭٭٭

---

(١) الجواهر المضية ٢:٤٧٥، ٤٧٦.

مناظرات الإمام الأعظم

مناظرة الإمام مع الأوزاعي في رفع اليدين :

قال سفيان بن عيينةِ : اجتمع الإمام والأوزاعي، فقال له الأوزاعي : ما لكم لاترفعون أيديَكم عند رفع الرأس من الركوع وعند الركوع ؟

فقال: لأنه لم يصحّ عنه عليه السلام.

فقال: وكيف؟ قد حدّثَني الزهري عن سالم عن أبيه عنه عليه السلام أنه كان يرفع يديه عند الافتتاح، وعند الركوع، وعند رفع الرأس من الركوع.

فقال: أخبرَني حمّاد عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه عليه السلام كان لا يرفع يديه إلا عند افتتاح الصلوة، ثم كان لا يعود بشيء من ذلك.

فقال الأوزاعي : أحدّثك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، وأنت تحدّثني عن حمّاد عن إبراهيم عن علقمة، كأنه رجّح بعلوّ الإسناد، فقال :

أما حمّاد، فكان أفقهَ من الزهري، وإبراهيم أفقه من سالم، وعلقمة ليس دون ابن عمر.

وفي روايةٍ لو لا سبق ابن عمر لقلتُ: علقمة أفقه منه، وإن كان لابن عمر صحبة، فله فضل الصحبة والأسود له فضل كثير، وأما عبد الله فعبد الله، فسكت الأوزاعي[1].

مناظرته مع محمد بن إسحاق صاحب المغازي في مسألة الاستثناء المفصول:

قال معمر بن الحسن الهَرَوِي: اجتمع أبو حنيفة ومحمد بن إسحاق عند أبي جعفر المنصور، وكان جمع العلماءَ والفقهاءَ من أهل الكوفة والمدينة وسائر الأمصار لأمر حزبَه، وبعث إلى أبي حنيفة، فنقله على البريد إلى بغداد، فلم يُخْرِجْه من ذلك الأمر الذي وقع له إلا أبو حنيفة.

فلما قُضيت الحاجةُ على يديه حبسَه عند نفسه، ليرفع القضاةُ والحكّامُ الأمورَ إليه، فيكون هو الذي ينفذ الأمورَ، ويفصل الأحكامَ.

وحبس محمدَ بن إسحاق ليجمع لابنه المهدي حروبَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغزواتِه، قال: فاجتمعا يوماً عنده، وكان محمد بن

---

(١) المناقب للكردري ١:١٧٤، وشرح الملا علي القارئ على نخبة الفكر ص ٤٩، ومسند الإمام الأعظم ص ٥٠، وفتح القدير ١:٢١٩.

إسحاق يحسدُه، لما كان يرى من المنصور من تفضيله وتقديمه واستشارته، فيما ينوبه، وينوب رعيتَه، وقضاتَه، وحكّامَه.

وسأل أبا حنيفة عن مسألة، أراد أن يغيرَ المنصورَ عليه، فقال له: ما تقول يا أبا حنيفة! في رجلٍ حلفَ أن لا يفعلَ كذا وكذا، أو أن يفعل كذا وكذا، ولم يقلْ إن شاء اللّٰه موصولاً باليمين، وقال ذلك بعد ما فرغ من يمينه، وسكتَ.

فقال أبو حنيفة: لا ينفعه الاستثناءُ إذا كان مقطوعاً من اليمين، وإنما كان ينفعه إذا كان موصولاً به.

فقال: وكيف لا ينفعه؟ وقد قال جدّ أميرِ المؤمنين الأكبرُ أبو العبّاس عبد اللّٰه بن عبّاس رضي اللّٰه عنهما: إن استثنائَه جائز، ولو كان بعد سنةٍ، واحتجّ بقوله عزّ وجلّ: ﴿واذكرْ ربّك إذا نسيتَ﴾.

فقال المنصور لمحمد بن إسحاق: أهكذا قال أبو العبّاس صلوات اللّٰه عليه؟ قال نعم. قال: فالتفتَ إلى أبي حنيفة رحمه اللّٰه، وقد علاه الغضبُ، فقال: تخالف أبا العبّاس؟

فقال أبو حنيفة: لِمَ أخالفُ أبا العبّاس؟ ولقول أبي العبّاس عندي تأويل، يخرج على الصحة، ولكن بلغني أن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم قال: مَنْ حَلَفَ على يمين، ويستثني فلا حِنْثَ عليه، إنما وضعناه إذا كان موصولاً باليمين، وهؤلاء لا يرون خلافتَك لهذا يحتجّون بخبر أبي العبّاس.

فقال له منصور: كيف ذلك؟ قال: لأنهم يقولون: إنهم بايعوك حيث بايعوك تقيةً، وإن لهم الثُّنْيا، متى شاؤوا يخرجون من بيعتك، ولا يبقىٰ في أعناقهم من ذلك شئ.

قال: هكذا؟ قال: نعم. فقال المنصور: خذوا هذا، يعني محمدَ بن إسحاق، فأخذ، وجعل رداءً في عنقه، وذهبوا به، فحبسوه[1].

مناظرة الإمام مع جهم رئيس الجهمية

قال أبو إسحاق الخوارزمي قاضي خوارزم: إن جهم بن صفوان قصد أبا حنيفة للكلام، فلما لقيه قال له: يا أبا حنيفة! أتيتُك لأكلّمَك في أشياءٍ هيأتُها لك.

فقال أبو حنيفة: الكلام معك عار، والخوض فيما أنتَ فيه نار تتلظّىٰ.

قال: فكيف حكمتَ عليّ بما حكمتَ، ولم تسمعْ كلامي، ولم تلقني.

قال: بلغتْ عنك أقاويلُ، لا يقولها أهل الصلوة.

قال: أفتحكم عليّ بالغيب؟

قال: اشتهر ذلك عنك، وظهر عند العامة والخاصة، فجاز لي أن أحقّق ذلك.

فقال: يا أبا حنيفة! لا أسئلك عن شئ إلا من الإيمان، فلا تجيبني

١ـ المناقب للموفق ١:١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

عن شئ إلا عن الإيمان.

فقال له: أولم تعرف الإيمانَ إلى الساعة حتى تسألني عنه.

قال: بلىٰ، ولكني شككتُ في نوع منه.

قال: الشكّ في الإيمان كفر.

فقال : لايحلّ لك أن لا تبّين لي من أيّ وجه يلحقني الكفر.

قال: سلْ.

فقال : أخبِرْني عن مَنْ عرف اللّٰه بقلبه، وعرف أنه واحد، لا شريك له، ولا ندّ، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء، ثم مات قبل أن يتكلّم بلسانه، أمؤمناً مات أم كافراً؟

قال : كافر من أهل النار حتى يتكلّم بلسانه، مع ما عرفه بقلبه.

قال : وكيف لا يكون مؤمناً ؟ وقد عرف اللّٰه بصفاته.

فقال أبو حنيفة : إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجةً كلّمتُك به، وإن كنتَ لا تؤمن به، ولا تجعله حجةً كلّمتُك بما تكلّمَ به مَنْ خالفَ ملّة الإسلام.

فقال : أومن بالقرآن، وأجعله حجةً.

فقال أبو حنيفة: قد جعل اللّٰه تبارك وتعالىٰ الإيمان في كتابه، بجارحتين بالقلب واللسان، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾، فأوصلهم الجنّة بالمعرفة والقول، وجعلهم مؤمنين بالجارحتين بالقلب واللسان.

وقال تعالىٰ: ﴿قولوا: آمنا بالله، وما أنزل إلينا﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿فإن أمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾، وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيِّب﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة﴾.

وأورد الإمامُ الهُمامُ عدّةَ أحاديثَ دالّةٍ على أهمّية الإقرار اللساني للإيمان، فقال له جهم: قد أوقعتَ في خلدي شيئاً، فسأرجع إليك، فقام من عنده، ولم يعدْ إليه[1].

مناظرته مع أهل المدينة في القراءة خلف الإمام

إن جماعةً من أهل المدينة جاؤوا إلى أبي حنيفة، ليناظروه في القراءة خلف الإمام، ويشنّعوا عليه.

فقال لهم: لايمكنني مناظرةُ الجميع، فولّوا الكلامَ أعلمَكم لأناظرَه، فأشاروا إلى أحد.

فقال: هذا أعلمكم؟ فقالوا: نعم، والمناظرة معه كالمناظرة معكم؟ قالوا: نعم، والإلزام عليه كالإلزام عليكم؟ قالوا: نعم، والحجّة عليه كالحجّة عليكم؟ قالوا: نعم.

---

(١) المناقب للموفق ١: ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

قال : إن ناظرته لزمتْكم الحجّةُ، قالوا كيف؟

قال: لأنكم اخترتموه، فجعلتم كلامَه كلامَكم، وكذا نحن اخترنا الإمامَ، فقراءته قراءتنا، وهو ينوب عنا، فأقرّوا بالإلزام [١] .

هل بلغتْ روايات أبي حنيفة إلى سبعة عشر فقط ؟

وقد وقع في نُسَخِ «تاريخ ابن خلّدون » المطبوعة، أبو حنيفة يقال بلغتْ رواياتُه إلى سبعة عشر حديثاً. انتهى [٢] .

وهذا القول قد اغترّ عليه كثيرٌ من عوامّ الزمان، وفتحوا لسانَ الطعن على الإمام العظيم الشأن، وقالوا: لم يكنْ له بالحديث عرفانٌ، ولم يروا إلا سبعة عشر حديثاً، كما صرّح به ابنُ خلّدون المورّخ الكبير الشأن.

ونحن نقول أولاً : إن هذا القول إن لم يكن غلطاً و زلّةً من ابن خلّدون أو من كتاب تاريخه، أو مهتمّي طبعِه، فهو قول مخالفٌ للذاكرين تعدادَ الروايات للإمام العظيم ذي الكرامات، فيكون شاذّاً مردوداً.

ثانياً : إن ابن خلّدون وإن كان ماهراً في العلوم التاريخية، إلا أنه لم يكن ماهراً بالعلوم الشرعية، كما نصّ عليه شمسُ الدين السخاوي في ترجمته في «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ، فكيف يكون قوله

---

(١) المناقب للموفق ١:١٧٧، ١٧٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٤.

مقبولاً في هذا المَرَام ؟.

ثـالثـاً : إنـه ذكـره ابن خلِّدون بلفظ يقال الدالّ على ضَعْفِه، وعدمِ حصولِ إذعانِه به، ولم يجزمْ به، فكيف يحتجّ به؟

رابـعـاً : إن الأمـور التاريـخية والـحـكـايـات المنقولة في الكتب التـاريـخية لا بـدّ أن تُـوْزَنَ بـميزان العقول، فما البراهين القطعية العقلية أو الـنـقـلية ترد عند أرباب العقول، يدلّ على ذلك قول ابن خلِّدون في مفتح تاريخه.

إذا عـرفـتَ هـذا، فـاعـرفْ أن هـذه الكلمةَ أن روايات أبي حنيفة بـلـغـتْ إلـى سبعة عشر، فمخالِفةٌ للدلائل القطعية المويّدة بالأمور النقلية اليـقـينية والمشاهد البيّنة، وذلك لأن مَنْ نظرَ تصانيفَ تلامذةِ الإمام الذين أسـنـدوا الرواياتِ فيها إلى أستاذهم وأسندوها إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم بإسنادهم، كـ«موطّأ» الإمام محمد، و «كتاب الحجّ» له، و «كتاب الآثار» له، و «السِّيَر الكبير» له، و «كتاب الخراج» للإمام أبي يوسف، وغير ذلك وجـدَ فيهـا روايـاتِ الإمـام أزيـدَ من مائةٍ بل مائتين، فما معنى كونِ رواياتِه سبعة عشر فقط؟

وأيـضـاً مَنْ نظر «مـصنّف ابن أبي شيبة»، و «مـصنّف عبد الرزاق»، وتـصانيفَ الدار قطني، وتصانيفَ الحاكم، وتصانيفَ البيهقي، وتصانيفَ الـطـحـاوي، وغيـر ذلك وجـد فيها رواياتٍ كثيرةً لأبي حنيفة، مرويةً من طرق مَرضيّة، فكيف يسلّم كونُها سبعة عشر فقط؟.

وأيضاً كلّ أحدٍ يعلم أن زمان الإمام كان آخرَ زمانِ الصحابة وأولَ زمانِ التابعين، وكان ذلك العصر عصرَ شيوعِ العلم وإشاعةِ الأخبار النبوية، وكان أصاغرُ ذلك الزمان أيضاً تبلغُهم الأحاديثُ الكثيرةُ، فمع ذلك كيف يجوِّز العقلُ أن لا يبلغ أبا حنيفة إلا سبعة عشر؟

وأيضاً قد اتفقتْ كلماتُ الفقهاء والمحدّثين والمؤرّخين، بل جميعِ العلماء المعتبَرين على أن أبا حنيفة كان مجتهداً، وإجماعهم دالّ على أنه بلغتْه أحاديثُ كثيرةٌ، فمن الظاهر أن مَنْ لم تبلغْه من الأخبار النبوية إلا سبعة عشر كيف يستنبط؟

وأيضاً مشايخه في العلم على ما ذكره ابن حجر وغيره أربع آلاف، وعدّ منهم في «تهذيب الكمال» وغيره من كتب نقّاد الرجال نحو سبعين شيخاً، فإن كان سمع من كلّ واحد من شيوخه حديثاً واحداً فقد تبلغ مرويّاتُه سبعين أو أربعة آلاف. فما معنى كونها سبعة عشر؟[1].

۞۞۞

١ ـ مقدمة عمدة الرعاية ص ٣٤، ٣٥.

أغلوطات على الإمام الأعظم والأجوبة عنها

منها : أنه كان يقدّم القياسَ على السنن النبوية.

وهذا فِرْيَة بلا مِرْيَة، ومَنْ شَكَّ في ذلك فليطالع «الخيرات الحِسَان» و«الميزان» ، يظهر له أن زعمَه مُوْقِعٌ له في خُسران.

منها : أنه كان كثيرَ الرأي، ولذا سمّى المحدّثون أصحابَه بأصحاب الرأي.

وهذا ليس بطعن بالحقيقة، فإن كثرةَ الرأي والقياس دالّة على نَبَاهَة الرجل، ووفور عقله عند الأكياس، ولا يفيد العقلُ بدون النقل، ولا النقلُ بدون العقل، واعتقادنا واعتقاد كلّ منصِفٍ في حقّه أنه لو أدرك زمناً كثرتْ فيه رواياتُ الأحاديث، وكشف المحدّثون عن جمالها القناعَ بالكشف الحثيث لقلّ القياسُ في مذهبه، كما حقّقه عبدُ الوهاب الشعراني في «الميزان»، وملا معين في كتابه «دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة في الحبيب».

منها : أنه قليل الرواية للأخبار النبوية.

وهـذا أيـضـاً ليس بـطـعـن بـالـحـقـيـقة، فإن مرتبتَه في هذا تشابه المرتبةَ الـصـدّيـقيةَ، فـإن كان طعناً كان أبو بكر الصدّيق أفضل البشر بعد الأنبياء بـالتـحـقيـق مـطـعـونـاً، فـإنه أيضاً قليل الرواية بالنسبة إلى بقية الصحابة، حاشاهم، ثم حاشاهم عن هذه الوسمة.

مـنهـا : إنه كان كثيرَ التعبّد، حتى كان يحيى الليلّ كلّه، وهو بدعة ضلالة.

وهـذا قـول صدر عن غفلة، ولقد قفّ شَعْري من سماعه، ووقعتُ في التعجّب من قائله، فإن كثرة العبادة حسب الطاقة، كإحياء الليلة كلّها، وختـم الـقـرآن فـي ليـلة، وأداء ألف ركـعة، ونـحـو ذلك مـنقول بالنقول الـصحيحة عن كثير من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، وعلي، وشدّاد بن أوس رضـي الله تعالى عنهم أجمعين، ومسروق، والأسود النخعي، وعروة بن الزبير، وثابت البناني، وزين العابدين علي بن الحسين، وقتادة، ومحمد بـن واسـع، ومـنـصـور بـن زاذان، وعـلـي بن عبد الله بن عبـاس، والإمـام الشـافـعـي، وسـعـد بـن إبـراهيم الزهري، وشعبة بن الحجّاج، والخطيب البـغـدادي، وغيـرهـم ممن لا يُحصىٰ عددُهم، فيلزم أن يكون هؤلاء كلّهم من المبتدِعين ومن التزمه فهو أكبر المبتدِعين الضالّين.

ومـنهـا : أنـه قـد جـرحه سفيان الثوري، والدار قطني، والخطيب، والذهبي، وغيرهم من المحدّثين.

وهـذا الـقـول صدر عن الغافلين، فإن مطلقَ الجرح وإن كان عيباً،

يترك به المجروحُ فليترك البخاري، ومسلم، والشافعي، وأحمد، ومالك، ومحمد بن إسحاق صاحب المغازي، وغيرهم من أجلّة أصحاب المعاني، فإن كلًّا منهم مجروح مقدوح، بل لم يسلم من الجرح أصحابُ الرسول، فهل يقول قائل بقبول الجرح فيهم؟ ألا والله لا يقول به مَنْ هو من أرباب العقول، فالإمام بريئ عنه عند أرباب الإنصاف والنصوح، وقد تقرّر في الأصول أنه لا يقبل الجرحُ المبهمُ، لا سيّما في حقّ مَنْ ثبتتْ عدالتُه، وبعض الجروح صدر من معاصريه، وقد تقرّر في مقرّه أن جرح المعاصر لا يقبل في حقّ المعاصر، لا سيّما إذا كان لتعصّبٍ أو عداوةٍ، وإلا فليقبل جرح ابن معين في الشافعي، وأحمد في الحارث المحاسبي، والحارث في أحمد، ومالك في محمد بن إسحاق صاحب حديث القلّتين، والقراءة خلف الإمام، وغيرهم في غيرهم، والله لا نقبل كلامهم فيه، ونوفّيهم حظّهم، وبعض الجروح صدر من المتأخّرين المتعصّبين، كالدار قطني، وابن عدي، وغيرهما، ممن يشهد القرائن الجلية بأنه في هذا الجرح من المتعسّفين، والتعصّب أمر لا يخلو منه البشر، إلا من حفظه خالقُ القوىٰ والقدر.

ومنها: أن كثيراً من تلامذته كانوا من الوضّاعين والمجروحين، كنوح الجامع، وأبي مطيع البلخي، والحسن اللؤلؤي، وهذا جرح مخالف لقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزرَ أخرىٰ﴾ ولو كان هذا جرحاً كان كثيراً من سادات أهل البيت، كجعفر الصادق، ومحمد الباقر، ومَنْ

فوقهما من المجروحين، فإن كثيراً من تلامذتهم كانوا رفّاضاً كذّابين.

ومنها: أنه روى كثيراً عن الضعفاء.

وهذا أمر مشترك بين العلماء، فإن كثيراً من رواة الشافعي، ومالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، ومن يحذو حذوَهم كانوا ضعفاء.

ومنها: أنه كان قليلَ العربية.

وهذا الطعن أدرجه بعضُهم في تصانيفه، مع كونه غير قادح عند أهل الحديث وحَمَلَة الأخبار، ومع تصريح الثقات بجوابه والاعتزال، كما في «تاريخ ابن خلِّكان» بعد ذكر كثير من مناقبه وكثير من مدائحه. راجع: التعليق السمجّد للإمام اللكنوي.



رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البَتِّي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلوة والسلام على سيّدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

رَوَى الإمامُ حُسامُ الدين علي بن الحَجّاج السُّغْنَاقي، عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستّار الكَرْدَرِي، عن برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المَرْغيناني، عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر اليَرْسُوخي، عن علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السَّمَرْقَنْدِي، عن أبي المُعين ميمون بن محمد المكحولي النَّسَفي، عن أبي زكريا يحيى بن مُطرف البَلْخِي، عن أبي صالح محمد بن الحسين السَّمَرْقَنْدِي، عن أبي سعيد بن محمد بن أبي بكر البُسْتِي، عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارِسي عن نصير بن يحيى الفقيه، عن أبي عبد الله محمد بن سماعة التميمي، عن الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وعنهم، أنه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم.

مـن أبي حنيفة إلى عثمان البَتّي[1] : سلام عليك، فإني أحمَدُ إليك اللّٰه، الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد : فإني أوصيْك بتقوى اللّٰه وطاعته، وكفى باللّٰه حسيباً وجازياً.

بـلغني كتابُك، وفهمتُ الذي فيه من نصيحتك وحفظك لنا، وقد كتبتـه أنـه دعـاك إلـى الـكتـاب بما كتبته حِرْصك على الخير والنصيحة،

(١) هـو الإمـام فقيه البصرة أبو عمرو عثمان بن مسلم البَتّي الكوفي ثم البصري المتوفّى سنة ١٤٣ هـ، النحو ٧٠ أو أقل.

حـدّث عـن أنـس بـن مـالك رضي اللّٰه تعالى، وعامر الشعبي، والحسن البـصري، وعبـد الـحـميـد بن سلمة، ونعيم بن أبي هند. وروى عنه شعبة بن الـحـجـاج، وسـفيـان الثـوري، وحـمّاد بن سلمة، وهشيم، وعيسى بن يونس ويزيد بن زريع، وابن علية، وغيرهم.

قال الإمام أحمد صدوق ثقة، وقال العباس الدوري عن ابن معين ثقة. وقـال ابـن سـعـد: كـان ثـقةً، له أحاديث، وكان صاحب رأي وفقه، وقال أبو حاتم : شيخ يُكتب حديثُه، وقال الدار قطني: ثقة.

وعلى ذلك كان موضعه عندنا.

كتبتَ تذكر أنه بَلَغَكَ أني من المُرْجِئة، وأنّي أقول: مؤمن ضالّ، وأن ذلك يَشُقّ عليك، ولَعَمْري ما في شئ باعَدَ عن الله تعالى عُذْرٌ لأهله فيما أحدثَ الناسُ، وابتدَعوا أمرٌ يُهتدى به، ولا الأمرُ إلا ما جاءَ به القرآن، ودعا إليه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وكان عليه أصحابُه، حتى تفرَّق الناس، وأما ما سِوى ذلك فمُبْتَدَعٌ ومحدَثٌ، فافهمْ كتابي إليك، واعلمْ أنه لولا رجاءُ أن ينفعَك الله به لمْ أتكلّف الكتابَ إليك، فاحذرْ رأيك على نفسك، وتخوّفْ أن يدخلَ الشيطانُ عليك، عصمَنا الله وإيّاك بطاعته، ونسأله التوفيقَ لنا ولك برحمته.

ثم أخبرك أن الناسَ كانوا أهلَ شِرْكٍ قبلَ أن يَبعثَ الله تعالى محمداً صلّى الله عليه وسلّم، فبعث محمداً، يدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم إلى أن يَشهدوا أنه لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، والإقرار بما جاءَ به من الله تعالى، وكان الداخلُ في الإسلام مؤمناً بريئاً من الشرك، حراماً مالُه وعِرْضُه ودمُه، له حقّ المسلمين وحرمتُهم، وكان تاركٌ لذلك حين دُعِيَ إليه كافراً بريئاً من الإيمان، حلالاً مالُه ودمُه، لا يقبل منه إلا الدخولُ في الإسلام أو القتالُ، إلا ما ذكره الله سبحانَه وتعالى في أهل الكتاب من إعطاء الجِزْية.

ثم نزلت الفرائضُ بعد ذلك على أهل التصديق، فكان الأخذُ بها

عملاً مع الإيمان، ولذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١].

وقال: ﴿ومن يؤمن بالله يَعْمَلْ صالحاً﴾[٢]. وأشباهَ ذلك من القرآن، فلم يكن المُضَيِّعُ للعمل مضيِّعاً للتصديق، وقد أصابَ التصديقَ بغير عمل.

ولو كان المضيِّع للعمل مضيعاً للتصديق لا انتقلَ من اسم الإيمان وحرمتِه بتضييعه العمل، كما أن الناس لو ضيَّعوا التصديقَ لانتقلوا بتضييعه من اسم الإيمان وحرمتِه وحقِّه، ورجعوا إلى حالهم التي كانوا عليها من الشرك.

ومما يُعرف به اختلافُهما أن الناس لا يختلفون في التصديق، ولا يتفاضلون فيه، وقد يتفاضلون في العمل، وتختلف فرائضُهم.

ودينُ أهل السماء ودين الرسل واحد، فلذلك يقول الله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدينَ ولا تتفرّقوا فيه﴾[٣].

واعلم أن الهدى في التصديق بالله ورُسُلِه ليس كالهُدىٰ فيما

---

(١) جاءت هذه الجملة الكريمة في تسع آيات من القرآن الكريم أولها في سورة البقرة: ٢.

(٢) جاءت هذه الجملة الكريمة في سورة التغابن: ٩، وفي سورة الطلاق: ١١.

(٣) من سورة الشورى: ١٣.

افْتُرِضَ من الأعمال، ومن أين يُشْكِل ذلك عليك؟ وأنتَ تسمّيه مؤمناً، وهو جاهل بما لا يعلم من الفرائض، فلا بدّ من أن تسمّيه مؤمناً بتصديقه، كما سمّاه الله تعالى في كتابه، وأن تسمّيه جاهلاً بما لا يعلم من الفرائض، وهو إنما يتعلّم ما يَجهل، فهل يكون الضالّ عن معرفةِ الله تعالى ومعرفةِ رسوله، كالضالّ عن معرفة ما تعلّمه الناسُ، وهم مؤمنون؟ وقد قال الله تعالى في تعليمه الفرائض: ﴿يبيّن الله لكم أن تضلّوا والله بكلّ شئ عليم﴾[1]. وقال: ﴿أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى﴾[2] وقال: ﴿فعلتُها إذاً وأنا من الضالّين﴾[3] يعني من الجاهلين.

والحجّة من كتاب الله تعالى والسنّة على تصديق ذلك أبينُ وأوضحُ من أن تُشْكِل على مثلك، أولستَ تقول: مؤمن ظالم، مؤمن مُذْنِبٌ، مؤمن مخطئ، مؤمن عاص، مؤمن جائر؟ هل يكون فيما ظَلَمَ وأخطأ مهتدياً فيه مع هداه في الإيمان، أو يكون ضالاً عن الحقّ الذي أخطأه.

وقولُ بني يعقوب على نبيّنا وعليه السلام لأبيهم ﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾[4]. أتظنّ أنهم عَنَوْا: إنك لفي كفرك القديم؟ حاشا لله

---

(١) من سورة النساء: ١٧٦.

(٢) من سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) من سورة الشعراء: ٢٠.

(٤) من سورة يوسف: ٩٥.

أن تفهمَ هذا، وأنتَ بالقرآن عالم.

واعلم أن الأمر لو كان كما كتبتَ به إلينا أن الناس كانوا أهلَ تصديقٍ قبل الفرائض، ثم جاءت الفرائضُ، لكان ينبغي لأهل التصديق أن يَسْتَحِقّوا (اسمَ) التصديقِ بالعمل حين كُلّفوا به، ولم تُفسِّر لي ما هم عليه، وما دينُهم، وما مُستقرّهم عندك قبل ذلك؟ إذاهم لم يستحقّوا الاسمَ إلا بالعمل حين كُلّفوا.

فإن زعمتَ أنهم مؤمنون، تجري عليهم أحكامُ المسلمين وحرمتُهم صدقتَ، وكان صواباً، لما كتبتُ به إليك، وإن زعمتَ أنهم كفّار فقد ابتدعتَ، وخالفتَ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم والقرآنَ. وإن قلتَ بقول من تعنّتَ من أهل البِدَع، وزعمتَ أنه ليس بكافر ولا مؤمن، فاعلمْ أن هذا القول بدعةٌ وخلافٌ للنبي صلّى اللّه عليه وسلّم وأصحابه.

وقد سُمّي علي رضي اللّه عنه أميرَ المؤمنين، وعمر رضي اللّه عنه أميرَ المؤمنين، أو أميرَ المطيعين في الفرائض كلّها يَعْنُون؟ وقد سَمّى عليٌّ أهلَ حَرْبِه من أهل الشام: مؤمنين، في كتاب القضية. أوَ كانوا مهتدين، وهو يقتلهم؟ وقد اقتتل أصحابُ رسولِ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولم تكن الفئتان مهتديتين جميعاً، فما اسم الباغية عندك؟

فو اللّه ما أعلم من ذنوب أهل القبلة ذنباً أعظمَ من القتل، ثم دماء أصحاب محمد عليه الصلوة والسلام خاصةً، فما اسم الفريقين عندك؟ وليسا مهتديين جميعاً.

فإن زعمتَ أنهما مهتديان جميعاً ابتدعتَ، وإن زعمتَ أنهما ضالّان جميعاً ابتدعتَ، وإن قلتَ : إن أحدهما مهتدٍ فما الآخر! فإن قلتَ : الله أعلم أصبتَ. تَفَهَّمْ هذا الذي كتبتُ به إليك.

واعلمْ أني أقول: أهل القبلة مؤمنون، لستُ أخرِجُهم من الإيمان بتضييع شيء من الفرائض، فمن أطاع الله تعالى في الفرائض كلّها مع الإيمان كان من أهل الجنّة عندنا، ومن ترك الإيمانَ والعملَ كان كافراً من أهل النار، ومَنْ أصاب الإيمانَ وضيّع شيئاً من الفرائض كان مؤمناً مذنباً، وكان لله تعالى فيه المشيئةُ إن شاءَ عذّبه وإن شاءَ غفرَ له، فإن عذّبه على تضييعه شيئاً فعلى ذنبٍ يعذّبه، وإن غفر له فذنباً يَغْفِرُ.

وإني أقول : فيما مضى من اختلافِ أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كان بينهم : الله أعلم. ولا أظنّ هذا إلا رأيَك في أهل القبلة، لأنه أمرُ أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأمرُ حَمَلَةِ السنّة والفقه.

زعم أخوك عطاء بن أبي رَبَاح، ونحن نَصِفُ له هذا : أن هذا أمرُ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وزعمَ سالمٌ عن سعيد بن جُبير أن هذا أمرُ أصحابِ محمد صلّى الله عليه وسلّم، وزعم أخوك نافع أن هذا أمرُ عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما.

وزعم ذلك أيضاً عبدُ الكريم عن طاؤوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا أمرُه.

وقد بلغني عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين كَتَبَ القضيةَ أنه يُسَمّي الطائفتين: (مؤمنين) جميعاً. وزعم ذلك أيضاً عمرُ بن عبد العزيز، كما رواه مَنْ لقيَه من إخوانك فيما بلغني عنك. ثم قال: ضَعُوا لي في هذا كتاباً، ثم أنشأ يُعلِّمه ولدَه، ويأمرهم بتعليمه، ـ علِّمْه جلسائَك رحمك الله تعالى ـ فكان بمكان من المسلمين.

واعلمْ أن أفضلَ ما علّمتم وما تُعلّمون الناسَ السنّةَ، وأنتَ ينبغي لك أن تعرف مَنْ أهلَها الذين ينبغي أن يتعلّموها.

وأما ما ذكرتَ من اسم (المُرْجِئَة) فما ذنبُ قومٍ تكلّموا بعدل، وسمّاهم أهلُ البِدَع بهذا الاسم؟ ولكنهم أهلُ العدل وأهلُ السنّة، وإنما هذا الاسم سمّاهم به أهلُ الشنآن البتّةَ، لَعَمْري ما يُهجِّن عدلاً لو دعوتَ إليه الناسَ فوافقوكَ عليه أن يُسمّيهم أهلَ شنآن: المُرْجِئَة، فلو كانوا فعلوا ذلك كان هذا الاسم بدعةً، فهل يهجّن ذلك ما أخذت به من أهل العدل. ثم إنه لو لا كراهية التطويل، وأن يكثرَ التفسيرُ لشرحتُ لك الأمورَ التي أجبتُك بها فيما كتبتُ به، ثم إن أشكل عليك شيئ أو أدخلَ عليك أهلُ البدع شيئاً فأعلمني أُجِبْك فيه إن شاء الله تعالى، ثم لا آلُوكَ ونفسي خيراً والله المستعان.

لا تَدَعْ الكتاب إليَّ بسلامك وحاجتك، رَزَقَنا الله مَنقَلَبا كريماً وحياةً طيبةً، وسلامُ الله عليك ورحمةُ الله وبركاتُه، والحمد لله رَبّ العالمين وصلى الله على سيِّدِنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞۞۞

المراجع والمصادر

١ـــابن ماجة اور علم حديث : لشيخنا العلامة عبد الرشيد النعماني.

٢ـــإحياء علوم الدين : للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ.

٣ـالإعلام : للعلامة خير الدين الزِّرِكْلِي

٤ـالإكمال في أسماء الرجال : لولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب بعد ٧٣٧هـ.

٥ـــالانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء : للعلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله محمد المعروف بابن عبد البر المالكي الأندلسي ٤٦٣هـ.

٦ـــالأنساب : لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ٥٦٢هـ.

٧ـــالبداية والنهاية : لأبي الفِداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ٧٧٦هـ.

٨ـ تاريخ بغداد : لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ.

٩ـ تبييض الصحيفة : للعلامة الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن الكمال السيوطي ٩١١هـ.

١٠ـ تذكرة الحفّاظ : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ.

١١ـ التعليق الممجّد : للشيخ عبد الحي بن عبد الحليم ١٣٠٤هـ.

١٢ـ تقدمة نصب الراية : للعلامة المحدّث محمد زاهد بن الحسن الكوثري ١٣٧١هـ.

١٣ـ تنسيق النظام في مسند الإمام الأعظم : للشيخ المحدّث الفقيه محمد حسن السنبهلي ١٣٠٥هـ.

١٤ـ تهذيب الكمال : للحافظ أبي الحجاج جمال الدين المِزّي ٧٤٢هـ.

١٥ـ تيسير مصطلح الحديث : للدكتور محمود الطحّان.

١٦ـ جامع الأصول : لمبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦هـ.

١٧ـ جامع بيان العلم : لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ٤٦٣هـ.

١٨ـ جامع مسانيد العلم : للمحدّث محمد بن محمود الخوارزمي ٦٥٥هـ.

١٩ـ الجواهر المضيّة : للحافظ محي الدين أبي محمد عبد القادر

ابن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصر اللّه القرشي ٧٧٥هـ.

٢٠ـ الخيرات الحِسان : للعلامة أبي العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ٩٧٤هـ.

٢١ـ دراسات اللبيب : للنظام محمد ابن محمد السندي ١١٦١هـ.

٢٢ـ ذبّ ذبابات اللبيب : للفقيه الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ محمد هاشم القرشي السندي ١١٨٩هـ.

٢٣ـ ردّ المحتار : لمحمد أمين الشهير بابن عابدين الشامي ١٢٥٢هـ.

٢٤ـ سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ.

٢٥ـ شذرات الذهب : لأبي الفلاح عبد الحي بن العِمَاد الحنبلي ١٠٨٩هـ.

٢٦ـ شرح الملّا على القاريء على نخبة الفكر : للشيخ علي بن سلطان محمد القاريء ١٠١٤هـ.

٢٧ـ العِبَر في خبر من غَبَر : لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ.

٢٨ـ عقود الجواهر المنيفة : للإمام السيد مرتضى الزَّبيدي ١٢٠٥هـ.

٢٩ـ فتح القدير : لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام السيواسى ٩٨٨هـ.

٣ـ فهرست ابن نديم : لأبي الفرج محمد بن إسحاق تقريباً ٣٨٥هـ.

٣١ـ كتاب التعليم : للشيخ مسعود بن شبية بن الحسين السندي من أعيان القرن السابع.

٣٢ـ قواعد الفقه : للسيد محمد عميم الإحسان بن الحكيم عبد المنّان البركتي ١٣٩٤هـ.

٣٣ـ ما تمسّ إليه الحاجة : لشيخنا العلامة عبد الرشيد النعماني.

٣٤ـ ما ينبغي به العناية لمن يطالع الهداية : للعبد الضعيف حفظ الرحمن بن الشيخ العلامة المحدّث محبّ الرحمٰن.

٣٥ـ مسند الإمام الأعظم : للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ١٥٠هـ.

٣٦ـ مشكل الآثار : للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة ٣٢١هـ.

٣٧ـ مفتاح السعادة : لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ٩٦٢هـ.

٣٨ـ مقام أبي حنفية : لشيخ الحديث العلامة محمد سرفراز خان صفدر.

٣٩ـ مقدّمة ابن خلّدون: للعلامة عبد الرحمٰن بن محمد بن خلّدون ٨٠٨هـ.

٤٠ـ مقدّمة ابن الصلاح: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ٦٤٣هـ.

٤١ـ مقدّمة عمدة الرعاية: للعلامة عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي ١٣٠٤هـ.

٤٢ـ مقدّمة فتح الملهم: للشيخ العلامة شبّير أحمد العثماني ١٣٦٩هـ.

٤٣ـ مقدّمة كتاب الآثار: للعلامة عبد الرشيد النعماني.

٤٤ـ المِلَل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حَزْم الظاهري ٤٥٦هـ.

٤٥ـ الممتع: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ.

٤٦ـ المناقب: للمحدّث أبي عبد الله حسين بن علي بن محمد ٤٣٦هـ.

٤٧ـ المناقب: لمحمد بن محمد المعروف بابن البزّاز الكَرْدَري ٨٢٧هـ.

٤٨ـ المناقب: للإمام الموفّق بن أحمد المكي ٥٦٥هـ.

٤٩ـ المنتظم لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجَوْزي ٥٩٧هـ.

بن علي ٩٧٣هـ.

٥١ـ وفيات الأعيان : لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان ٦٨١هـ.

فهرس المحتويات

مطبوعات مكتبة شيخ الإسلام

داكا، بنغلاديش.

١ ـ ما ينبغي به العناية لمن يطالع الهداية.
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٢ ـ معجم الفقيه و المتفقه
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٣ ـ مكانة أبي حنيفة في الفقه و الحديث
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٤ـ الدرر المنتقاة على مقدمة الشيخ
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٥ ـ فقه أهل العراق و حديثهم
تأليف : الإمام زاهد بن الحسن الكوثري
تعليق : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٦ ـ أصول الإفتاء
تأليف : العلامة المفتي محمد تقي العثماني
تعليق : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٧ ـ الإمام القدوري و مختصره
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٨ ـ فتح الودود علي شرح العقود
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
٩ـ الروض النضير علي النافع الكبير
تأليف : المفتي حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.
١٠ ـ الإمام محمد و كتابه الجامع الصغير
ـــ حفظ الرحمن الكُمِلَّائي.